عبدالله القصيمي

نقدُ كتاب حياة محمّد

مؤسسة الانتشار العربي

الدكتور حسين هيكل واسع الثقافة ، كثير القراء مسموع الكلمة ، فإذا ما كتب كانت فائدته عظيمة ، وكان نفعه عاماً . ومن هذا فسوف تكون الفائدة في كتاب حياة محمد عظيمة وسوف يكون نفعه عاماً .

وقد التهمه العالم الإسلامي التهاماً ، واعتنى به أفضل عناية ، وقرّظه جميل التقريظ . وإن يكن هذا دالاً على شيء فإنه يدل على ما للدين وللكتابة في الدين من المكانة في النفوس وعلى تعلّقها به تعلقاً يحمل المتشائم على التفاؤل والرضا .

وكم يفرح المؤمنون برواج كتب الدين ، وكم يعجبهم انتشارها وكثرة قرائها ، فإن في ذلك من القضاء على الإلحاد والتنفير عنه ما فيه ، كما أن فيه ترغيباً وحفزاً لكتّابنا الأعلام العصريين أن يواصلوا الكتابة في الدين وفي الدفاع عنه .

فصول الكتاب كانت الحسنات التي اشتمل عليها غنية عن أن نشيد بها ، وإنما ألفيت بعض مآخذ زلَّ فيها القلم فكان التنبيه عليها واجباً .

Bibliotheca Alexandrina
0706551
63
86
07

ISBN 9953-476-94-2
9 789953 476940

http://www.al-maktabeh.com

نقد
كتاب حياة محمد

عبدالله القصيمي

الانتشار العربي
Arab Diffusion Company

عبدالله القصيمي

نقد
كتاب حياة محمد

الانتشار العربي

ص.ب 113/5752

E-mail.arabdiffusion@hotmail.com
arabdiffusion@hotmail co.uk
www.alintishar.com

بيروت - لبنان

هاتف:١٦٥٩١٤٨ - ٩٦١ فاكس: ١٦٥٩١٥٠-٩٦١

ISBN 9953-476-94-2

الطبعة الأولى ١٩٣٥

الطبعة الثانية ٢٠٠٧

الفهرس

الإهداء ٧
محمد عليه السلام ٩
فماذا كان؟ ١١
فماذا كان؟ ١٢
ثم ماذا؟ ١٤
فماذا عمل؟ ١٤
فأية رسالة أدّوها؟ ١٦
فماذا كان؟ ١٧
الدكتور هيكل ١٨
لم يقدح المسلمون في عيسى ١٨
أساس الديانات السماوية كلها التوحيد ١٩
مذهب وحدة الوجود والإسراء ٢٠
لا يعلم الغيب إلّا الله ٢٢
هل ينكر الدكتور الإسراء والمعراج ٢٣
معجزات محمد المادية ومنطق الدكتور ٢٤
قصة الفداء والذبح ٣٢
قصة شق الصدر ومنطق الدكتور ٣٢
ممن تعلم موسى التوحيد؟ ٣٩
هل تحبل العقيم من الغيرة؟ ٤٠

رحلة محمد عليه السلام الأولى إلى الشام ٤١
رحلته عليه السلام (الثانية) ٤٢
هل كان عليه السلام مشغولاً بتلقي البلاغة؟ ٤٢
إبراهيم يدعو الناس إلى احترام عقله ٤٣
مجيء إبراهيم إلى مصر ٤٣
عبادة خديجة للأصنام ٤٤
هل كان عليه السلام ينسى نفسه؟ ٤٥
هل كانت خديجة تؤذي رسول الله ﷺ ٤٥
دعوة محمد والطريقة العلمية الحديثة ٤٥
حداد رسول الله على بعض نسائه ٤٦
هل كان رسول الله يواد اليهود وهل كانوا موحدين؟ ٤٦
غلطة ٤٦
هل أقرّ الإسلام شيئاً من الوثنية؟ ٤٧
المقارنة بين المسلمين والغربيين ٤٧
مذهب وحدة الوجود ٤٨
اللّه في نظر الدكتور ٥٠
الآخرة في رأي الدكتور ٥١
هل يرى أن الروح قديمة؟ ٥١
الإيمان في نظر الدكتور ٥٢
الصلاة والصيام في رأيه ٥٢
غلطة ٥٣
تحريف ٥٣
الكتاب من الوجهة الفنية ٥٤
لغة الكتاب ٥٦
خاتمة ٥٧

http://www.al-maktabeh.com

الإهداء

إلى الذين يبتغون الحق لوجه الحق وحده

طبق الأصل من كتاب

«حياة محمد»

المؤلف

محمد ﷺ

ولد يتيماً في عصر اتفقت كلمة المؤرخين والرواة على أنه من أخبث العصور وأكثرها انحطاطاً من جميع النواحي الخلقية والعقلية والدينية والحكومية. عصر هو في الحق عصر الظلم والظلمات. ولد في أمة تائهة في الضلال والجهل، تائهة في البغي والظلم، تائهة في الشرك والكفر، تائهة في الفرقة والاستبداد، تائهة في القساوة والعنف، تائهة في كل معاني الغضب والسخط.

أمة لا تدين لزعيم ولا لحاكم بحكومة. كل رجل منها يحسب الزعيم من في بردته، والسيد من تحت خيمته.

أمة ليس لها قائد يقودها في مواطن القيادة، وليس لها دستور يجمعها.

ولد هذا اليتيم في أمة بلغت وحشيتها وقسوتها أن تحفر لفلذات أكبادها فتدفنهم في الأرض أحياء أطهاراً صغاراً لا لذنب ولا لسبب غير خوف تلك الوحوش أن يصيبوا مما يطعمون أو مما يشربون وغير توهم تلك الوحوش أن يجلبوا لهم العيلة والعار.

أمة بلغت جهالتها وغباوتها أن تعبد ما تصنع بأيديها من أحجار وأصنام وغير ذلك، ثم إذا جاعت أكلت ما كانت تعبد وما كانت تخضع له وتسجد.

نشأ هذا اليتيم في أمة هذا بعض شأنها. نشأ وديعاً هادئاً أميناً تقياً طاهراً بعيداً عن كل هذه الشرور والآثام، بعيداً عن كل هذه الأمراض الاجتماعية والخلقية، بعيداً عن ذلك كله حتى لم يستطع التاريخ الحفيظ أن يحفظ له غلطة أو كذبة أو جريمة، وذلك كله عند قومه، حتى ضرب به المثل في الطيب والصلاح والاستقامة، وحتى سماه قومه بحق (الأمين).

نشأ هذا اليتيم وشب وصار رجلاً وبلغ أربعين سنة. بلغ هذا العمر كله وهو كما ذكرنا نقاء وطهارة وطيباً وأمانة. أنفق هذا العمر كله أميّاً لم يقرأ كتاباً ولم يدخل مدرسة أو يتلق من معلم ولم يخط بقلم أو يقل بيت شعر أو يؤلف خطبة أو رسالة، بل ولم يشارك قومه في شيء من أشعارهم وتفاخرهم بها ولم يحاول يوماً أن يكون خطيباً أو بليغاً أو غير ذلك من أصناف القائلين.

أنفق هذا العمر كله خالياً من كل شيء إلّا من الطيب والاستقامة والرحمة. خالياً من كل شيء إلّا من الخلق المرضي ومن الوداعة والهدوء. أنفق هذا العمر كله كما ذكرنا وفوق ما ذكرنا.

ثم فجأة وعلى غير رقبة قام في قومه الذين لم يعرفوه إلّا صدوقاً أميناً، في قومه الذين لم يعهدوه إلّا باراً نصوحاً تقياً، في قومه الذين لم يجدوه قوالاً ولا خطيباً، ولا شاعراً ولا مفاخراً، في قومه الذين لم يحفظوا له في عمره كله غلطة من الغلطات، في قومه الذين لم يروا منه حرصاً أو طمعاً في رئاسة أو دنيا، في قومه الذين يعرفونه كما يعرفون أنفسهم حيياً خجولاً، خائفاً للعواقب، في قومه الذين يعرفونه أمياً لا يقرأ ولا يكتب ولا يقرض شعراً أو يخطب.

ثم فجأة وعلى غير رقبة قام في قومه هؤلاء صائحاً فيهم منادياً في نواديهم: أيها الناس إني رسول اللّه إليكم جميعاً، أيها الناس إن اللّه أراد رحمتكم وأراد إصلاحكم، إن اللّه أراد أن ينقذكم مما أنتم فيه من وثنية وشرك، إن اللّه أراد أن يطهركم من هذا البلاء تطهيراً، إن اللّه أراد بكم كل خير وكل سعادة فأرسلني إليكم فأطيعوني تسعدوا، أطيعوني تملكوا الدنيا، تملكوا من ملوككم، تملكوا أولئك الذين طالما اتخذوكم لهم عبيداً وخولاً، والذين طالما أذلوكم، وطالما سقوكم الذلّ أنواعاً.

ثم فجأة وعلى غير رقبة قام صائحاً في قومه: أيها الناس إن اللّه أنزل عليّ كتاباً به نبأ الأولين والآخرين، به ما كان وما سيكون، به أخبار الأنبياء والمرسلين، كتاباً جمع من الحقائق والتواريخ الصائبة الصحيحة ما لا يعلمه علماء الأرض الذين ردّت إليهم زعامة الديانات، وزعامة التواريخ، والذين قضوا أعمارهم بين أحشاء الكتب في أرقى أمم الأرض حضارة وعمراناً. كتاباً يصحح لأهل الأرض جميعاً أغلاطهم وأخطاءهم ويحكم

بينهم فيما هم فيه يختلفون. كتاباً به من القوانين والدساتير والشرائع ما يبقي على الأيام وما يرضي كل زمان ومكان. كتاباً به من العلوم، علوم الأرض والسماء، علوم الماء والهواء، ما لا تستطيع الأيام على مرورها وكرورها أن تبطل عليه نظرية واحدة، أو تنقض عليه حقيقة واحدة. كتاباً به من قوانين الأخلاق وقواعد علم النفس ما لا يعلمه أحد من أهل الأرض، وما لا تزيده الأبحاث والتجارب إلّا قوة وثبوتاً. كتاباً أتحدى به الناس جميعاً، أتحدى به النوع البشري كله، أتحداهم على أن يجاروا ألفاظه أو معانيه، أو يبطلوا عليه نبأ من أنبائه عن الغيب، أو عن العلوم، أو عن التواريخ، أو عن أصل الخليقة أو عن الكتب التي بين أيديهم، أو عن اللّه، أو عن ملائكته، أو عن الآخرة وما فيها من سعادة وشقاء، أو عن كل شيء. أتحدى الناس جميعاً على أن يأتوا بمثله أو بما يقاربه، أو بما يبطله، وأنا أمهلهم سنة وسنين ومئات السنين، ولهم أن يستعينوا بمن شاؤوا من الأنصار والجنود. كتاباً يقول لا بدّ من أن يكون كذا فيكون كما قال وكما حدث. كتاباً يقول لا بدّ من أن يكون له الغلب ولمن عمل به أخيراً فيكون كما قال وكما حدث. كتاباً لن تستطيعوا أنتم وأهل الأرض جميعاً على أن تفنوه أو تمحوه من الوجود، بل ولا أن تمحوا حرفاً منه ولو أنفقتم كل قواكم وجهودكم لذلك، وليس له من نصير وحام غير اللّه الذي أنزله. كتاباً خالداً في الناس ما خلد الليل والنهار، باقياً في الناس ما بقي في الأرض حق وباطل، وما بقي خير وشر.

نعم، ثم فجأة وعلى غير رقبة قام في قومه بهذا الصوت الداوي، بهذا الصوت المفاجيء الغريب عن تلك الأصوات التي ألفوها، بهذه الدعوة الغريبة عن تلك الدعوات التي عرفوها.

فماذا كان؟

فماذا كان من قومه إزاء هذه الدعوة وإزاء هذا الداعي؟ ما كان منهم إلّا التكذيب لما جاء به جملة والإنكار جملة. وما كان منهم إلّا الجحود لما جاءهم به من حق ومن هدى. جبهوه بالكفر والعناد. جبهوه بالمساءة والإيذاء. أنكر ما جاءهم به كبيرهم وصغيرهم، أحرارهم وعبيدهم، قريبهم وبعيدهم. رموه كلهم عن قوس واحدة وبقوس واحدة. كذبوه بعد أن كان عندهم الصادق الصدوق، خوّنوه بعد أن كان الأمين

المأمون، ذمّوه وقد كان عندهم المحمود الممدوح. أجمعوا كلهم على حربه ومناوأته وهو وحيد مفرد. وحيد إلّا من الحق وإلّا من عناية الحق. هجموا عليه بأسلحتهم المنوّعة وهو أعزل إلّا من كتاب ربه وإلّا من دين ربه. قامت أمة بأسرها مشهود لها بالعناد وشدة الشكيمة وبالقساوة التي لا تعرف ليناً. قامت هذه الأمة بأسرها في وجه هذا الوحيد المفرد الأعزل من كل سلاح قاتل مميت. قاموا في وجهه ووجه دعوته. حاربوه بالسنان واللسان، بالقوة والبيان. قالوا إنه ساحر، وقالوا كذاب، وقالوا مجنون، وقالوا ضال، وقالوا دجال زائغ، وقالوا فيه كل ذم وقدح في كل قالب من قوالب بيانهم وبلاغتهم.

فماذا كان؟

فماذا كان منه أمام هذا البلاء؟! كان منه أنه لم يضعف أمام شيء من ذلك، ولم يهن لشيء من ذلك، بل ولا فكر في أن يهون أو يضعف أمام هذا الأذى الذي لا يصبر عليه إلّا مثله من عباد اللّه. بل كان يزداد إيماناً بدينه وثباتاً على دعوته ومبدئه كلما ازدادوا في أذاته وفي التجني عليه في سبيل إيمانهم بباطلهم. وكان يزداد بهم رحمة وشفقة كلما ازدادوا به قسوة وغلظة. وكان يبكي عليهم كلما ضحكوا سخرية منه وتنادراً به. وكان يشتد في سبيل إحيائهم كلما اشتدوا في سبيل إهلاكه، ويسعى لحياتهم كلما سعوا لمماته. وكان يتمنى صلاحهم كلما تمنوا فساده. كانوا يضربونه ويسيلون منه الدماء فيقول اللّهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون...

وكان إذا أسرفوا في عذابه وإرهاقه وأرسل اللّه إليه ملكاً يقول له: أتحب أن نهلك قومك عامة، يكون جوابه: «لا. إني لأرجو أن يخلق اللّه من أصلابهم من يعبدون اللّه لا يشركون به شيئاً» وكان إذا لجوا في الضلال والاعتداء فأصابهم اللّه بعذاب كقحط أو نحوه انتقاماً لرسوله جاؤوه يطلبون منه الشفاعة لهم عند ربه الذي غضب له. فما يكون منه إلّا أن يرفع يديه إلى السماء يدعو اللّه لهم ويخلص في الدعاء.

هكذا كانت حال رسول اللّه، وهكذا كانت حال قومه: يمطرونه عذاباً، ويمطرهم رحمة. يريدون به شراً ويريد بهم خيراً. وهكذا كان يضرب للإنسانية أروع الأمثال في

http://www.al-maktabeh.com

التسامح والعفو، في الثبات على العقيدة والمبدأ الحق، في مناهضة الباطل والضلال، ثابتاً أمام هذا البلاء المستطير العنيف، لا أقول ثبوت الجبال أمام الرياح الزعازع، ولكن أقول ثبوت الإيمان القوي أمام الكفر. فلا أثبت من الإيمان القوي ولا أقوى منه على منازعة الشر والاضطهاد... يدعو إلى اللّه في وسط هذه الموجات الهوج. يدعو إلى اللّه هؤلاء القوم العتاة البغاة الأعوام تلو الأعوام فلا ييأس ولا يقنط على رغم ما يلقى من المؤيسات المقنطات. يبدي من ضروب التضحية والمثابرة ما لا يوجد عند الأيام والليالي.

هكذا كان واللّه يمده بأنواع الآيات، ويعزز دعوته بضروب الدلائل والمعجزات. يبدي له كل يوم ما يكفي من جانب الهوى دليلاً على صدقه وصحة دعواه، دليلاً على أنه عبد اللّه ورسوله بعثه بالرسالة العامة والشريعة الخاتمة حتى الطبيعة!!!.. الطبيعة نفسها لم تعتصم من أن تسخر لمحمد ولتعزيز دعوة محمد ولبيان فضل محمد. وما تكون الطبيعة الصماء الخرساء في جانب «محمد». محمد الذي فتح اللّه به الآذان الصم والعيون العمي. أو ليس وجود محمد نفسه قضاء على ناموس الطبيعة. فليس من الطبيعة أن يخرج من جزيرة العرب، تلك الجزيرة الجدباء المحرقة، أميّ يقلب نظام العالم كله... حتى الطبيعة نفسها لم تستطع أن تعصم نفسها من أن تتصرف لفائدة محمد ودعوة دين محمد، حتى شُقَّ له القمر وأجري له الماء من بين أصابعه وأنطقت له الجمادات والحيوانات إلى غير ذلك من المعجزات.

كل ذلك إعذار من اللّه إلى أولئك الأقوام، وكل ذلك إقامة للحجة عليهم، وكل ذلك لئلا يقول فريق يوم القيامة، يوم إلقاء المعاذير والحجج: يا ربنا ما جاءنا هذا النبي بدليل مادي على نبوته وعلى اختصاصك إياه بالرسالة. ونحن لا نعقل من الدلائل إلّا المادي الحسي. وأما الدلائل العقلية فهي لغيرنا، لمن ميّزتهم يا ربنا علينا بالعقول الراجحة الثاقبة.

وكل ذلك، وأولئك الأقوام الكفّار بمحمد في حيرة مما يرون، في حرب مع أنفسهم من مسألة محمد ونبوة محمد. وكل ذلك، والشك والكفر ينصهران في صدور القوم شيئاً فشيئاً. وكل ذلك، والباطل ينزاح من رؤوسهم اليوم بعد اليوم. وكل ذلك، وجلد محمد يذيب شركهم وعنادهم الساعة بعد الساعة واللحظة بعد اللحظة. وكل

ذلك، وإشراق شمس محمد يبدد دليل ضلالهم حيناً فحيناً. وكل ذلك، والحق يعلو والباطل يسفل ويهوي.

ثم ماذا؟

ثم ما انقضى بضع وعشرون عاماً حتى أصبح هذا اليتيم صاحب الكلمة النافذة في أولئك الذين أذاقوه العذاب أنواعاً، وحتى أصبح السيد المطلق في تلك الجزيرة الواسعة العنيدة، وحتى أصبح أعظم ملوك الأرض تخشاه وتنقطع مرائرها خوفاً منه، وحتى أصبحت كلها تمد له يد المسالمة رغبة ورهبة، وحتى نفذ ما كان يرجو تنفيذ بعضه، وحتى حقق كلّ ما أراد تحقيقه وكلّ ما جاهد في سبيله، وحتى قضى على كل رأي لا يرضاه أو لا يرضاه اللّه، وحتى أصبح من كانوا يسعون لقتله يقتلون أنفسهم لإحيائه، وحتى أصبح هؤلاء الأعداء الألداء كل منهم يرى السعادة التي لا تفوقها سعادة أن يظفر بنظرة منه، وحتى وضع شريعة باقية على الدهر، وأنشأ أمة معدة لتحطيم أعظم أمم الأرض، وحتى ألف من شذاذ العرب والأعراب الذين ما كان التاريخ يعبأ بهم أو يعبأ ببلادهم لصغارهم وهوانهم. ألف أولئك الأبطال في كل معاني البطولة، أولئك الأبطال الذين تزهى بهم صفحات تاريخ الإنسانية، وحتى أخرج من أولئك الأعراب الحفاة الجفاة معلمين لروما وأثينا، مؤدبين لحكماء بيزنطة وفارس والهند، وحتى فجر صخور تلك الصحراء الجرداء ينابيع عُذاباً، وحتى أعاد تلك الصخور والرمال عيوناً تجري بماء الحكمة والفلسفة والعلم والعدالة، وحتى جعل تلك البقعة الجرداء المحرقة متجه أنظار العالم، وحتى غيّر مجرى التاريخ العالمي وقلب نظامه بسرعة لم يعهد لها نظير وبقوة لم يكن لها مثيل.

فماذا عمل؟

ثم ماذا عمل؟؟ وإلى أي وجه ذهب بعد هذا الفوز وبعد هذا الفتح المبين وبعد هذا النصر التام؟! الجواب: إنه ظلّ كما بدأ مجاهداً صابراً على جهاده متواضعاً جم التواضع زاهداً جم الزهد سهلاً لطيفاً كما كان وكما خلق، لم يغيّر ما ناله من سلطان وقوة وجاه من أخلاقه شيئاً، لم يكسبه ذلك إلّا الحمد للّه ومواصلة عبادته وكثرة تواضعه

لمن آمن. والنفس العظيمة عظيمة أبداً، عظيمة في الرخاء كما هي عظيمة في الشدة، عظيمة في القوة كما هي عظيمة في الضعف. والذهب هو الذهب وإن كان في يد الصائغ مذاباً.

فما حفظ عليه أنه انتقم لنفسه ممن أذاقوه البلاء أشكالاً، وممن أجلبوا عليه بكل أنواع الشر والنقمة، ولا حفظ عليه أنه آثر نفسه على من آمن به بشيء من الأثرة، ولا أنه رغب بنفسه عن أنفسهم، ولا أنه استباح لذاته ما حرم عليهم، ولا أنه ركن إلى الدنيا بعض الركون أو حاول جمعها، وكان على ذلك قادراً. بل لقد كان يزداد بعداً عن الدنيا والمال كلما ازدادت الدنيا والمال إليه قرباً. حتى لقد خرج منها كما دخلها لم يدع ديناراً ولا درهماً، وحتى خرج منها وسلاحه مرهون لليهود على طعام أهله الضروري.

أعطاه اللّه تلك الدنيا بعد الجهاد الحاد والبلاء الحاد. فما أعطى تلك الدنيا من نفسه شيئاً. وقد باعها كلها للحق، والنفس الكبيرة أعظم من أن تكون ثمناً لدنيا أو لرئاسة. وما خلقت الدنيا إلّا لتكون من خدمها.

ظل يرى الناس ما لم يسمعوا به من أمثال الزهد والورع والتضحية والشجاعة والإيثار والمساواة والعدالة ما جعلهم يترامون على طاعته والدخول في دينه وعلى التفاني في حبه ترامياً، وما جعل الأعرابي العنيد الأبيّ يقف أمامه قائلاً بشيء من الزهو والفخر والسرور: يا محمد واللّه لو أحببت أن أقطع رأس والدي لقطعته ولوضعته بين يديك. ظلّ يرى الناس ـ والدنيا في يمينه وشماله ـ من أمثال الرجولة الكاملة والنبوة الخاتمة ما جعل أولئك العرب يطلبون الموت تحت راية الحق طلب الناس الحياة تحت راية الباطل، وما جعلهم يحرصون على الفقر حرص الناس على الغنى، وما جعلهم يتبارون في الإيثار تباري الناس في الأثرة.

ظلّ يضرب لهم هذه الأمثال حتى خرج من الدنيا والدنيا لا تعرف غير محمد وأمثال محمد، وحتى خرج من الدنيا والناس لا يعرفون غير محمد وغير فضل محمد، وحتى ظلّ العربي الذي يحب الحياة يعانق الموت الزؤام باسم الثغر راضي النفس يحفزه ما يتصور في مخيلته من جهاد محمد وشجاعة محمد، وحتى ظل العربي يدخل على أعظم ملوك الأرض جبروتاً وسلطاناً وفتكاً غير حاسب إلّا أنه رجل من سائر خلق اللّه،

وذلك لما بقي في رأسه من أمثال محمد في عزة النفس وفي إباء الضيم وفي تعظيم اللّه وحده، وحتى ظلّت الفئة القليلة من المؤمنين تناجز الجموع المعدودة بمئات الألوف غير حاسبة إلّا أنها في قبضتها وغير حاسبة إلّا أنها آخذة بناصيتها، وذلك لأن محمداً ضرب لها المثل الأعلى في الاعتداد بالنفس اعتماداً على اللّه فقاوم أهل الأرض كافة، وهو موقن بالنصر، موقن بأن العاقبة له فكان له ما أيقن وكان له ما قدر، وحتى كان الأعرابي الفظ يسمع الآية الزاجرة فيصعق فرقاً من النار ويسمع الآية في الرحمة فيطير لبّه شوقاً إلى الجنة.

خرج من الدنيا مخلفاً وراءه أولئك الجنود، أولئك الملائكة في صور الناس، لا أقول الملائكة. فليس هنالك أفضل من أن أقول: مخلفاً أولئك الصحابة. فما في الألفاظ لفظ يتحمل من معاني العظمة والبطولة مثل ما يتحمله لفظ الصحابة، وليس هنالك في الألفاظ لفظ يشرف على لفظ الصحابة بعد اللّه ورسله. خلف وراءه أولئك الصحابة الأبرار بعد أن هذبهم بمدرسة السماء، بمدرسة النبوة الخاتمة، مدرسة مادتها كلام اللّه ومدرسها ورئيسها محمد عبد الله ورسوله.

فاية رسالة أدّوها؟

فماذا عملوا بعده وأية رسالة أدّوها في الأرض؟! الجواب: أنهم أغاروا على أطراف الأرض يحطمون أوثانها وأصنامها يحطمون طواغيتها وأربابها، يحطمون ما يخجل به الناس في ذلك العصر الموبوء من بلاء وعسف، من هوان ووثنية، من خرافات حطّت الإنسانية عن مستوى البهائم قروناً وقروناً. أغاروا على هذا البلاء وقد علمهم عبد اللّه ورسوله كيف يغيرون وكيف يغزون. أغاروا على ذلك بماذا أغاروا؟! لا أقول بالطيارات ولا الدبابات ولا الغواصات ولا الرشاشات ولا الغازات الخانقة ولا بغير ذلك من أنواع السلاح القاتل. لا أقول بشيء من ذلك، ولكني أقول إنهم أغاروا بقلوب!! بقلوب مخلصة مؤمنة وكفى!! وبدعوة تحلّ القلوب قبل أن تحل الأسماع. فليس في أنواع السلاح وعدد الجهاد أمضى من القلوب المخلصة المؤمنة، وما في الأرض أسرع احتلالاً للبلاد واستعماراً لها من الدعوة الصالحة المعقولة إذا ما قام بها رجال مخلصون عاقلون. أغاروا على هذه البلاد بهذه القلوب المخلصة المؤمنة تحمل هذه الدعوة المعقولة

http://www.al-maktabeh.com

الصالحة!! وأي مخلوق رُزق شيئاً من العقل والإنصاف لا يلبي تلك الدعوة ولا يجيب لذلك الدعاء؟؟!

أجابت كل البلاد التي وصلوها ووصلتها دعوتهم. وما أجابت الدعوة وحسب، بل إنها نسيت جميع مقوماتها مندمجة بدعوة أولئك الصحابة، مندمجة في مقوماتهم. تركت أديانها وأزياءاها ولغاتها وعاداتها آخذة بدل ذلك دين الصحابة ومقومات الصحابة.

فماذا كان؟

كان أن أنقذوا الإنسانية المعذبة، أنقذوا الأخلاق، أنقذوا العقول، أنقذوا الديانات، أنقذوا الرؤساء والمرؤوسين، أنقذوا البهائم، أنقذوا كل ذي روح، أنقذوا أولئك كلهم من ذلك البلاء، البلاء الذي فرضته عليهم أنانية الرؤساء الطاغين، وفرضه رجال الكهنوت والجهل والحماقات. أنقذوهم من ذلك كله، ثم أذاقوهم طعم الحرية. أروهم كيف تكون الديمقراطية، كيف تكون العدالة. عرّفوهم منزلة المخلوق من منزلة الخالق. عرّفوهم حق الله وحق عباده. أروهم ذلك كله بأكمل صوره، وقد كان عندهم مجهولاً، وقد كانوا لا يعرفون منه شيئاً. وما زال الناس من ذلك اليوم إلى يومنا هذا يستضيئون بنور هؤلاء الصحابة، وما زالوا يقبسون من تلك المشاعل العربية المحمدية. وكل حضارة ومدنية توجد اليوم هي في الواقع متولدة من تلك المدينة العربية بواسطة أو بواسطات عديدة. وسوف يظل الناس إلى يوم البعث يجنون من تلك الدعوة كل على قدر استعداده.

هذه هي حياة محمد، وهذا هو محمد ﷺ مصوراً بقدر استعدادنا نحن لا بقدره هو. فما ترى في هذه الحياة من المعجزات والسمو؟! وما ترى في هذا اليتيم العربي الأميّ من المعجزات والسمو؟! حياة كلها معجزات وسمو. حياة سلسلة من العظمة والبطولة، بطولة النبوة لا بطولة الرجولة فقط!! حياة لا يستطيع أحد أن ينكر عظمته. المؤمن بنبوتها يعظم فيها النبوة والعظمة، والكافر بنبوتها يعظم فيها البطولة والرجولة التامة. فالناس لا يختلفون في تعظيم هذه الحياة والناس لا ينكر منهم أحد ما عليه لهذه الحياة من فضل ومن منة. إذن ليكتب الكاتبون في عظمة هذه الحياة. كل يكتب على

قدر استعداده وعقيدته، وعلى قدر إيمانه. وليكتب «الدكتور هيكل» إذن في هذه الحياة، ولنكتب نحن بعض أغلاط هيكل ولننكر ما يدخل في هذه الحياة من غلط فإن الغلط في فهم العظيم هو في الواقع غلط في العظمة.

الدكتور هيكل

الدكتور حسين هيكل واسع الثقافة، كثير القراء مسموع الكلمة، فإذا ما كتب كانت فائدته عظيمة، وكان نفعه عاماً. ومن هذا فسوف تكون الفائدة في كتاب حياة محمد عظيمة وسوف يكون نفعه عاماً ولقد صادف رواجاً حسناً، وصادف مدحاً لا بأس به. وقد التهمه العالم الإسلامي التهاماً، واعتنى به أفضل عناية، وقرّظه جميل التقريظ. وإن يكن هذا دالاً على شيء فإنه يدل على ما للدين وللكتابة في الدين من المكانة في النفوس وعلى تعلّقها به تعلّقاً يحمل المتشائم على التفاؤل والرضا، كما يدل على مكانة الدكتور هيكل في نفوس العالم العربي.

وكم يفرح المؤمنون برواج كتب الدين، وكم يعجبهم انتشارها وكثرة قرائها، فإن في ذلك من القضاء على الإلحاد والتنفير عنه ما فيه، كما أن فيه ترغيباً وحفزاً لكتّابنا الأعلام العصريين أن يواصلوا الكتابة في الدين وفي الدفاع عنه وأن يرغبوا في ذلك لهذا اغتبطنا برواج كتاب حياة محمد اغتباطاً كثيراً.

وقد وفقت لقراءة فصول الكتاب فوجدت الحسنات التي اشتمل عليها غنية عن أن نشيد بها، وقد أشاد بها المشيدون قبلنا، وقد أشاد بها أصدقاء الدكتور. وإنما ألفيت بعض مآخذ زلّ فيها القلم فكان التنبيه عليها واجباً كي يبرأ منها الكتاب في الطبعات الآتية إذا ما اقتنع الدكتور بها.

لم يقدح المسلمون في عيسى

قال في ص ٣: «واستعر القتال بين أتباع عيسى وأتباع محمد قروناً وقروناً متتالية، ولم يقف القتال عند حرب الأسنة والمدافع بل انتقل كذلك إلى ميادين الجدل والنضال الكلامي، جاء المتقاتلون فيها بأسماء عيسى ومحمد، وجعل كل فريق من انتقاص رسول الفريق الآخر وسيلة لتأليب السواد واستثارة حماسة الجماهير وتعصبها».

ونحن لا نعلم أن المسلمين قد انتقصوا عيسى عليه السلام ولا قدحوا فيه، بل يرى المسلمون أن انتقاص عيسى أو غيره من أنبياء اللّه كفر بواح ومفارقة لملة الإسلام، بل المسلمون يعلمون كافة أن القرآن الكريم قد طهّر عيسى وطهّر كل رسول من كل رجس وعيب أضافه إليه أهل الضلالة. والآيات القرآنية في الثناء عليه ونفي كل تهمة عنه عديدة ليس المقام في حاجة إلى سردها. على أن العجيب أن الدكتور قد ذكر هذا المعنى بعد أن ذكر ما نقلته لك. فلا ندري ماذا يريد بانتقاص المسلمين عيسى كما لا ندري متى ألّبوا السواد على أصحاب عيسى بالقدح في عيسى.

والمسلمون، وإن اختلفوا في مسائل من أمهات الدين، فقد اتفقوا جميعاً على وجوب تعظيم الأنبياء وتبرئتهم من كل ما يشين وما يصم. فلا نستطيع إذن أن نفهم أن المسلمين قد انتقصوا عيسى أبداً.

أساس الديانات السماوية كلها التوحيد

وقال في ص ٦: «فالنصرانية تقول بالتثليث والإسلام ينكر كلّ ما سوى التوحيد أشد إنكار».

وقال في ص ٨: «تقول المسيحية بالتثليث وبأن عيسى ابن اللّه والإسلام ينكر إنكاراً صريحاً باتاً أن يكون للّه ولد».

ونحن نخالف الدكتور ونقول: «إن الإسلام والنصرانية لم يختلفا على أساس العقائد ولا في أن عيسى عبد اللّه ورسوله وأن اللّه فرد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد، ولا جاءت النصرانية بالتثليث، ولا قالت إن عيسى ابن اللّه جلّ اللّه عن ذلك. وإنما قال ذلك النصارى أو من يدّعون أنهم نصارى، وفرق بين النصرانية وبين من يدعون اعتناق النصرانية، كما أن هنالك فرقاً عظيماً بين الإسلام وبين من يدعون الإسلام أو من يحسبون على الإسلام أو من يقولون إنهم مسلمون. والأديان السماوية لم تختلف مطلقاً في وحدة اللّه وفي أنه ليس له شريك ولا ند ولا ولد. فلا النصرانية ولا غيرها قالت ما ذكره الدكتور أو جوّزته.

وليس للدكتور أن يقول أو يقول من يدافع عن الدكتور: إنني أعني بالنصرانية النصارى. كما أنه ليس لأحد أن يقول: إن الإسلام دين خمول وكسل وهوان وضعف وذلة وتفرّق وإن كان ذلك كله أو أكثر منه قد جاء من أهله ومعتنقيه. فلن نؤاخذ النصرانية بما عمل من يدعون اتباعها، كما لا يؤاخذ الإسلام بما جناه أهله عليه وعلى أنفسهم من شرٍّ وبلاء. وليس بجائز أن يسب الدين بما اقترفه من يعزون إليه ومن يعدون عليه.

مذهب وحدة الوجود والإسراء

وقال في ص ١٥٨: «ففي الإسراء والمعراج في حياة محمد الروحية معنى سامٍ غاية السمو. معنى أكبر من هذا الذي يصوّرون والذي قد يشوب بعضه من خيال المتكلمين حظ غير قليل. فهذا الروح القوي قد اجتمعت فيه في ساعة الإسراء والمعراج وحدة هذا الوجود بالغة كمالها.

«لم يقف أمام ذهن محمد وروحه في تلك الساعة حجاب من الزمان أو المكان أو غيرهما من الحجب التي تجعل حكمنا نحن في الحياة نسبياً محدوداً بحدود قوانا المحسة والمدبرة والعاقلة.

«تداعت في هذه الساعة كل الحدود أمام بصيرة محمد واجتمع الكون كله في روحه فوعاه منذ أزله إلى أبده وصوره في تطور وحدته إلى الكمال عن طريق الخير والفضل والجمال والحق في مغالبتها وتغلّبها على الشر والنقص والقبح والباطل بفضل من اللّه ومغفرة».

«وليس يستطيع هذا السمو إلّا قوة فوق ما تعرف الطبائع الإنسانية. فإذا جاء بعد ذلك من اتبعوا محمداً من عجز عن متابعته في سمو فكرته وقوة إحاطته بوحدة الكون في كماله وفي جهاده لبلوغ هذا الكمال فلا عجب في ذلك ولا عيب فيه».

«والممتازون من الناس والموهوبون منهم درجات. وبلوغنا الحقيقة معرض دائماً لهذه الحدود التي تعجز قوانا عن تخطيها».

ولعلنا لا نظلم حقاً ولا نركب باطلاً إذا قلنا إن هذا الغلو والإطراء في صفة

الرسول ﷺ مما يأباه الإسلام ومما تأباه بساطة الدين وروح الدين الساذجة البريئة، بل مما يأباه القرآن الكريم أشد الإباء ويراه من الإسراف الذي يرفع المخلوق فوق مستواه ويأباه الرسول لنفسه كما أن الواقع يأباه ولا يمكن أن يرضاه.

وقد وصف القرآن محمداً عليه الصلاة والسلام أجمل وصف وأبعده من نقص وغلو، وصفاً يرفعه عن مقام سائر الناس ولا يرفعه إلى مقام الألوهية الأعلى، فقال: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾[1]. وقال: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ ۚ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۖ وَلَا تَقُولُوا۟ ثَلَٰثَةٌ ۚ ٱنتَهُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ ۚ﴾[2].

وقد كان عليه السلام كثير الخوف على أمته من أن تغلو فيه وأن ترفعه فوق مستوى البشرية. ودكتورنا يقرّر هذا في مواضع من كتابه. وكان عليه السلام يقول: «لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم إنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله». بل لقد أغضبوه يوماً إذ قالوا له: أنت سيدنا وابن سيدنا وقال لهم: «أيها الناس لا يغوينكم الشيطان فما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني الله».

وليس بخافٍ على الدكتور أن الغلو في الأنبياء والأولياء والملائكة هو أساس الوثنيات القديمة والحديثة، وهو جرثومة الإشراك الذي وصم جبين الإنسانية وصمة عار وسبة لن يمحوها ما جاء به الإنسان على مرّ الدهور من أمور تدل على عقل وذكاء ومعرفة. فلا ندري من أين للدكتور أن روح محمد قد اجتمعت فيها وحدة الوجود كله، كما لا ندري معنى ذلك ولا معنى وحدة الوجود، ولا أن للوجود وحدة.

ولا أحسب دكتورنا الفاضل ينحو بكلامه وعباراته منحى القدامى من صوفية المسلمين وباطنيتهم الذين يطلقون أمثال هذه الكلمات إطلاقاً ويرسلونها إرسالاً أحفظ

---

(١) سورة الكهف، الآية: ١١٠.

(٢) سورة النساء، الآية: ١٧١.

عليهم صدور المحافظين من علماء الأمة. وهل يمكن أن نفهم أو هل يمكن أن يفهم صاحب «حياة محمد» أن للخالق والمخلوق وحدة أو أن الخالق والمخلوق واحد. لأن ذلك هو الوجود الذي يمكن أن يتناوله كلام الدكتور، أو هل يمكن أن نفهم أن لمحمد وغيره من مشركي الناس ومؤمنيهم وحدة في الوجود والمصدوق.

لا يعلم الغيب إلا الله

على أن الذي لا نستطيع له إقراراً ولا قبولاً قوله:

«تداعت في هذه الساعة كل الحدود أمام بصيرة محمد واجتمع الكون كله في روحه فوعاه منذ أزله إلى أبده وصوّره في تطور وحدته إلى الكمال».

والذي نستطيع أن نقوله وأن نقابل به كاتبنا، هو أن محمداً ﷺ ما كان ولا كان غيره من خلق الله واعياً للكون كله ولا عالماً بالغيب من الأزل إلى الأبد، ولا اجتمع كل الكون ولا نصفه بل ولا عشره في روح محمد ونفسه. والآيات القرآنية المصرحة باختصاص الحق سبحانه بعلم الغيب معروفة لكاتبنا ولقرائنا وليست في حاجة إلى إثباتنا.

وحسبنا أن نثبت هنا آيتين اثنتين: قوله: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾[1] وقوله: ﴿وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ﴾[2].

على أن قولته هذه ينافيها قوله في ص ٤٨٩: «فحياة محمد إنسانية بحتة بلغت أسمى ما يستطيع الإنسان أن يبلغه، ولقد كان ﷺ حريصاً على أن يقدر المسلمون أنه بشر مثلهم يُوحى إليه حتى كان لا يرضى أن تنسب إليه معجزة غير القرآن ويصارح أصحابه بذلك. ذلك بأنه يريد ألا يُعبد أحد إلّا الله وأن يقف المسلمون من أمر الرسول عند محبته وإجلاله والصلاة والسلام عليه إلخ..».

---

(١) سورة النمل، الآية: ٦٥.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٨٨.

http://www.al-maktabeh.com

أليس هذا الموقف مما يدعونا إلى العجب وإلى مساءلة الدكتور زيادة البيان. والحق أن الدكتور كان محباً لرسول اللّه مغالياً في حبه، حين كتب القطعة الأولى، وأنه كان محباً للتوحيد غالياً في حبه، خائفاً على التوحيد غالياً في خوفه، حين كتب القطعة الأخيرة. والحب إن لم يقيّد بقيد البرهان والعقل، كان جموحاً بصاحبه، وكان عنيفاً، بل كان ضاراً.

وهذا الوصف الذي وهبه للرسول من تلاشي الوجود، وتبدّد حجب الزمان والمكان من أمامه، واجتماع الكائنات في روحه، يناقض ما يرتئيه الدكتور من نفي الخوارق والمعجزات المادية غير القرآن، كما سوف أطلعك على ذلك بحول الذي لا يعلم الغيب غيره.

ويا ليت شعري كيف اتفقت هذه المقالة لكاتبنا، وهل اتفقت له من العقل أو من النقل، ولا ندري أن واحداً منهما يقبلها أو يجيزها.

هل ينكر الدكتور الإسراء والمعراج

والذي نخشاه أن يكون هذا القول قد تضمّن نفي الإسراء والمعراج. فإنه إذا كان للكون وحدة أو إذا كان الكون كله واحداً مجتمعاً في روح محمد ﷺ وفي صدره كما يريد كاتبنا لم يكن هناك حاجة إلى أن يُسرى به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، أو يعرج به من الأرض إلى السموات العلى، بل لم يكن ذلك مستطاعاً ولا معقولاً، لأن المسجد الحرام والمسجد الأقصى كلاهما في روح محمد وكلاهما شيء واحد، ولأن السماء والأرض شيء واحد وكلاهما في روح محمد.

فهل يمكن أن يعرج به أو يسرى به إلى شيء هو في روحه ومعه؟!

وهل لدى الدكتور من حل لهذا؟!

وأنا لا أرى الإسراء والمعراج في حاجة إلى كل هذه الفلسفة، وإلى كل هذا الإمعان في البحث للوصول إلى الإيمان بهما، والحصول على مغزاهما. فاللّه على كل شيء قدير، يفعل ما يشاء، ولا مانع لما أراد باعتراف كاتبنا واعتراف كل من يؤمن باللّه.

ونحن نرى كل يوم في حادثات الأرض والسماء، ما هو أغرب من الإسراء والمعراج وأدلّ على القدرة.

ولقد كادت علوم هذا العصر تمحو حروف «مستحيل» من قائمة الموجودات!!

معجزات محمد المادية ومنطق الدكتور

وقال ص ٤٨٩: «ولقد كان ﷺ حريصاً على أن يقدر المسلمون أنه بشر مثلهم يُوحى إليه حتى كان لا يرضى أن تنسب إليه معجزة غير القرآن ويصارح أصحابه بذلك. ذلك بأنه يريد أن لا يعبد أحد إلّا اللّه وأن يقف المسلمون من أمر الرسول عند محبته وإجلاله والصلاة والسلام عليه. وذلك ما دعا أبا بكر، حين خطب الناس إثر وفاة النبي والناس مختلفون: أمات أم لم يمت، إلى أن يقول: «من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ومن كان يعبد اللّه فإن اللّه حي لا يموت».

«وهذا الذي جرى عليه النبي وقام به أبو بكر يوم وفاته هو ما حال بين كثير من علماء المسلمين وكتابهم والوقوف عند ما أضيف إلى سيرة النبي من خوارق وضعها بعض الغلاة مضاهاة لما ورد في القرآن عن عيسى وموسى أو دسّها من دسوا الإسرائيليات على الإسلام ونبيه ليزيغوا بها العقائد وليبعثوا بها الشك إلى نفوس من يؤمنون بأن سنة اللّه لن تجد لها تبديلاً. وما كان محمد بحاجة إلى الخوارق لإثبات رسالته وقد كانت حياته قبل الرسالة كلها التضحية في سبيل اللّه وفي سبيل الحق الذي بعثه اللّه به».

يصرّ الدكتور كل الإصرار على نفي المعجزات وتكذيبها إذا ما استثنينا القرآن. يصرّ على ذلك إصرارا باتاً، ويذكر على هذا النفي وعلى هذا الإصرار على النفي من الأسباب ما لا يستطيع الوقوف أمام البحث.

ولكن الواقع والدراسة الصحيحة يصرّان على خلاف ما أصر عليه الدكتور. يصران على إثبات المعجزات إصراراً باتاً صريحاً.

اقرأ في أي كتاب تناول حياة محمدﷺ بإسهاب أو باختزال وانظر ماذا يقصّ عليك بالأسانيد الثوابت الصحيحة من المعجزات التي خصّ اللّه بها رسوله وعزّز بها دعوته. وانظر ماذا تجد من أنواع هذه المعجزات، ثم اختبر هذه الطرق لهذه المعجزات وانظر هل تجد فيها طريقاً ضعيفاً أو هل تجد فيها راوياً كذاباً غاشاً للدين وللعلم وللحق

يمكن أن يدس في ذلك حسب هواه وما يميل إليه؟! أو هل تجد راوياً إلّا ثبتاً فيما يقول وما ينقل؟! اقرأ في البخاري وفي كتاب مسلم أصح كتب الرواية وفي مسند الإمام أحمد أو في أبي داود أو في الترمذي أو في أي كتاب حديث: اقرأ في ذلك ثم امتحن ما قرأت وناقشه الامتحان، وحاسب ما قرأت وناقشه الحساب، وسلّط عليه ما علمت من قوانين البحث والدراسة الصائبة وانظر بماذا تخرج وعلامَ تخرج.

بل اقرأ في أي كتاب من كتاب السيرة: ابن هشام أو الواقدي أو ابن جرير أو ابن كثير أو ما شئت.

واقرأ في أي كتاب تفسير للقرآن على أي وجه كان ذلك التفسير، وعلى أي مذهب كان صاحبه.

بل اقرأ كتباً وضعت خاصة بما يصرّ الدكتور على نفيه. كتباً وضعت في معجزات النبي العربي وسميت علامات النبوة، وذلك ككتاب علامات النبوة للبيهقي وكتاب علامات النبوة لأبي نعيم وغيرهما.

اقرأ هذه الكتب كلها تجد الماء تارة ينبع من بين أصابعه عليه السلام لما أن جهده والمسلمين العطش وكانوا سفراً حتى كاد الموت يدركهم. وقد روى هذه المعجزة ممن حضروها من لا نستطيع الآن إحصاءهم. ولا تكبرن هذه المعجزة على عقل دكتورنا أو عقول القراء، فإن الجو والهواء مملوءان بذرات الماء. وعلماء الكيمياء الآن يستطيعون أن يركبوا ماء من هذه الذرات بإذن اللّه. بل تطورات الجو تكوّن من هذه الذرات السحاب، ثم تنزل مطراً برحمة من اللّه وفضل. فلن يعظم ذلك على قدرة اللّه غوثاً لرسوله وغوثاً لعباده المؤمنين من الموت المحقق.

وتارة نجد الطعام يزيد بين يديه عليه السلام بدعائه ورغبة إلى اللّه. وقد صحّت هذه المعجزة في أصح كتب الحديث عن رجال كثيرين ممن أكلوا منها وشهدوها. ولا تتعاظمك أيها القارىء هذه المعجزة حتى تقع في إنكارها، فإن علماء الكيمياء الآن يستخلصون من الهواء والنبات ونحوه طعاماً عند الحاجة والضرورة الحاكمة.

وتارة ترى المشركين يطلبون من رسول اللّه ﷺ المعجزة ويلجون في الطلب

فيشق اللّه القمر حتى يرى فلقتين ويرفع رسول اللّه ﷺ بصره إلى الناس ويقول لهم: «اشهدوا».

وروايات انشقاق القمر رواها رجال الصحيح من طرق زعمها فريق من رجال الرواية متواترة. وقد حدّث القرآن عنها بقوله: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ﴾[1].

إذن لن يستطيع الدكتور إنكار ذلك أو القدح في سنده بتجريح الرواة. وأحسب القارىء يجد على هذه الحادثة العظيمة إشكالات وشبهات قد تكون عقبة بينه وبين الإيمان بذلك، فلا بأس أن أحيله على كتاب مشكلات الأحاديث النبوية[2]، فإنك واجد هنالك ما يدد عنك ما تجد من شبهات.

ويحسن هنا أن نسائل الدكتور عن رأيه في انشقاق القمر، فإن قَبِلَ انشقاقه معجزة للنبي العربي فقد أبطل قوله في نفي المعجزات، وإن أبى الإيمان بذلك قلنا له: كيف يجتمع هذا الإباء مع الإيمان بالقرآن ومع الإيمان بأنه من عند اللّه.

وتارة ترى الأعرابي يجيء النبي فيقول له: ادع هذه الشجرة، فإن جاءتك آمنت لك وآمنت بأنك رسول اللّه. فيدعوها فإذا هي ماثلة أمامه، ويأمرها بالرجوع فإذا هي قائمة مكانها. فإذا الأعرابي يؤمن، وإذا الأعرابي يزداد إيماناً ويقيناً.

وتارة ترى الأعمى يجيء رسول اللّه فيطلب منه أن يدعو اللّه له فيدعو فيشفى ويصبح بصيراً بإذن اللّه.

وتارة ترى الذراع المسمومة تقدم لهعليه السلام فيقربها إلى فمه الشريف فلا يلبث أن يزحزحها قائلاً: «إن هذه الذراع تخبرني بأنها مسمومة» فإذا هي مسمومة.

وتارة ترى الرسول يطلع فوق الجبل فيضطرب الجبل ويهتز فيضربه رسول اللّه برجله الشريفة ويقول له: «أثبت أحد فإنما عليك نبي وصديق وشهيدان» فإذا الجبل ثابت.

وتارة ترى الرسول يقول: «إني لأعرف حجراً بمكة كان يسلم علي قبل البعثة».

---

(١) سورة القَمَر، الآية: ١.

(٢) خرج هذا الكتاب حديثاً وهو الأول في موضوعه.

http://www.al-maktabeh.com

وتارة ترى الملائكة يجيئون رسول اللّه ويجالسونه ويقاتلون معه الأعداء.

وتارة تجد الطعام والشراب يسبحان بيده عليه الصلاة والسلام.

وتارة ترى غير ذلك مما لا يستطيع إحصاءه المحصون وما لا تتحمله صحائف من الجرائد.

ولقد قدّر طائفة من علماء الأخبار معجزات رسول اللّه غير القرآن بألفين، وقدّرها غيرهم بثلاثة آلاف[1]. وكل هذه المعجزات رويت بالأسانيد. فإذا ما افترضنا لكل معجزة أربعة أسانيد، وهذا أقل تقدير، كان مجموع أسانيد المعجزات التي يصر الدكتور على إنكارها اثني عشر ألفاً. فانظر بربك هل يمكن في العقل الذي يتهافت عليه دكتورنا أن يوجد اثنا عشر ألف رواية وتكون كلها كذباً لا يصدق منها شيء. انظر بربك هل من المعروف للعقل والعادة، أن تكون هذه الكثرة من الروايات كاذبة كلها، مختلقة كلها، مدسوسة كلها؟! ما أهون الروايات إذن وما أهون التاريخ، وما أرك عقل من يعتمد على التاريخ والروايات في إثبات الأحداث، وفي الإيمان بالوقائع.

إذا كان اثنا عشر ألف رواية من أصح الروايات كذباً كلها، اختلاقاً كلها، فأية رواية تصدق، وأي تاريخ يقبل؟! إنه لا شيء من ذلك، إنه لا تاريخ، إنه لا عقل، إنه لا صحيح في الدنيا. اثنا عشر ألف رواية لا يصح منها شيء لدى صاحب كتاب «حياة محمد».

إذن كيف يصحّ عنده أنه كان حجاج، وكان عنترة، وأنه كان أبو تمام والبحتري والمتنبي وخلافهم. كيف يؤمن بهؤلاء؟! إنه يجوز أن تكون الروايات في الأخبار عنهم، وعن صفاتهم كذباً، كما يقول في معجزات محمد. وإذن كيف يؤمن بالإمام علي وشجاعته، وعمر بن الخطاب وعدالته، وامرىء القيس وشاعريته؟! لا إنه لا يثق بشيء من الروايات، ولا يثق بشيء من المتواترات. وإذن لعل هؤلاء غير موجودين، ولعل ما شهر عنهم من الصفات غير موجود، وإذن لا رواية ولا تاريخ ولا علم ولا سير. اثنا عشر ألف رواية تكون كاذبة كلها.

---

(١) انظر: **فتح الباري**، الجزء السادس، ص ٣٧٦.

إذن كل شيء كذب، وكل شيء خطأ، وإذن كل شيء شك؟!

يا ما أهون ديناً يحمل عليه كل من استطاع حمل القلم، وما أضيع ديناً يقول فيه ما شاء كل من استطاع الكلام في السياسة والأدب والقانون، وما أضعف ديناً يقال لأثبت شيء فيه، وأقوى شيء فيه: هذا لم يكن، هذا كذب، هذا خلاف سنّة اللّه وخلاف معروف العقل. وربك لقد هان الدين، وهان التاريخ، وهانت الدراسة، وهانت كل حرمة في هذا العصر وهذا البلد.

أيها الدكتور الجليل: مهلاً. فليس من المعروف للعقل أن تكون الروايات في المعجزات كلها كذباً لا يصح منها ولا واحدة. ولئن جاز في كل رواية وحدها أن تكون كذباً، فلن يجوز عليها كلها الكذب بضرورة العقل. فالمعجزات بجملتها متواترة بل من أعظم المتواترات.

ولينظر الدكتور هل يمكن أن يكون المتواتر كذباً، ولينظر، وهو الصديق للعقل، هل من العقل أن تكون أفراد هذه الروايات كذباً كلها واختلاقاً كلها. وإذن فما هو المتواتر وإذن ما هي الأخبار التي يجب الإيمان بها؟!

ليعلم الدكتور الفاضل أنه يصعب عليه جداً أن يثبت حادثة تاريخية من غير أن يصدمها الكذب والتكذيب إذا كان هكذا البحث لديه، وإذا كان هذا سلطان التكذيب عنده.

لينظر هل يستطيع أن يشك في جميع الأخبار عن علي بن أبي طالب بأنه كان شجاعاً، وعن أبي بكر الصديق بأنه كان تقياً، وعن الحجاج بأنه كان ظالماً سفاكاً وأنه كان من عمال عبد الملك بن مروان، وعن حاتم طي بأنه كان جواداً، وعن ابنه عدي أنه جاء رسول اللّه فأسلم وحسن إسلامه.

لينظر الدكتور هل يستطيع الشك في الأخبار عن هؤلاء كلهم؟! لا نحسبه، مهما أسأنا الظن، يستطيع أن يشك في ذلك. وإذن ليعلم أن أخبار المعجزات التي يصرّ على عداوتها وتكذيبها لا تقل عن أخبار هؤلاء كثرة وصحة. وهذا يعلمه عامة الناس فضلاً عمن درس التاريخ والمنطق والفلسفة. لا جرم أن مؤلفنا الضليع بالمنطق وقوانين البحث قد طاش به البحث هنا كثيراً.

على أن الدكتور هنا قد نسي أقوالاً له في أثناء الكتاب، فقد نفى المعجزات هنا جملة وبلا رحمة، وأثبت في أثناء كتابه الإسراء والمعراج، وأوجع المنكرين تأنيباً، كما أثبت معجزة الغار تبعاً للمستشرق الفرنسي الذي يعرب عنه. فأي بحثيه الصحيح عنده، وعلى أيهما يعتمد، وأيهما الخطأ يا ترى؟! نترك الجواب له.

والإسراء والمعراج ثابتان في القرآن: الإسراء في سورة الإسراء والمعراج في سورة النجم[1] فلن يجرؤ مؤلفنا على المجاهرة بتكذيب هاتين المعجزتين وهما قرآنيتان وهما يفسدان عليه بحثه وحجته هنا إفساداً لا يستطيع له إصلاحاً. وفي الحق أن كاتبنا كثير النسيان كثير الذهول عما يثبت في كتابه.

انظر إليه يقول ص ٢٨٥: «العظماء لا يخضعون لقانون. وإن القوانين التي تجري على الناس لا سلطان لها على العظماء ولا سلطان لها من باب أولى على المرسلين والأنبياء..».

«فقد كانت عظمة عيسى ونبوّته ورسالته معجزة اللّه فيه وخرقه لنواميس الكون وسنن الطبيعة وقوانين الخلق من أجله. فمن عجب أن يدعو المسيحيون المبشّرون إلى الإيمان بهذا الخروج على سنّة الكون في أمر عيسى وأن يأخذوا محمداً بما هو دونه وما لا يزيد على أنه سمو عن الخضوع لقانون المجتمع يسمح به لكل عظيم ويسمح به للملوك ورؤساء الدول الذين تقدّسهم الدساتير. كان في مقدورنا أن نجبه هذه الأقوال جميعاً بهذا الرد وكان فيه من غير شك ما يسقط حجة المبشّرين ومن ينهجون نهجهم من المستشرقين».

ألا يرى الدكتور ويرى القارىء معه أن مقالته هذه تهدم عليه قوله الذي نحن بسبيله، والذي نفى به المعجزات حيث أخضع رسول اللّه أعظم العظماء لقانون الناس الذي لا يفلتون منه، وحيث حكم بأنه إنسان لا يفلت من معاني الإنسانية وقيود الإنسانية في قليل ولا كثير، وحيث جهر بأنه لا معجزات له لأنه إنسان خاضع لمعاني الإنسانية؟!

ألا ترى يا صاح أن الدكتور، كما ذكرت لك، كثير النسيان كثير الذهول عما

---

(١) انظر: ص ١٧٥ من **كتاب مشكلات الأحاديث النبوية**.

يثبت في كتابه، فما سبب كثرة ذهوله وكثرة نسيانه فيما تظن؟ وألا ترى يا صاح أن هذا القانون الذي وهبه للعظماء وجبه به المسيحيين والمبشّرين يقضي على نفيه المعجزات قضاء مبرماً ويجبه نفيه جبهاً شديداً.

هكذا يا سيدي الدكتور، وربك، الحقيقة المرة، وهكذا الواقع المغضب. والعجب العاجب قوله إن الرسول كان يصارح أصحابه بأنه لا معجزة له وأنا أؤكد له توكيد الواثق أنه ﷺ ما نفى عن نفسه المعجزات ولا صارح أصحابه بذلك، وأؤكد توكيد الواثق أنه لا رواية فيما زعم لا صحيحة ولا ضعيفة، وأؤكد له أنه لم يقل قبل كاتبنا عالم بأن محمداً عليه الصلاة والسلام نفى عن نفسه المعجزات، وإن كان لدى الدكتور نقل فليثبته فإننا نقبله مع الشكر والحمد الجزيل، فنحن ممن يتبعون الحق للحق وحده. والروايات التي ذكرها ليست في سبيل مما أراد ولا تمت إليه بصلة. وقد أصابها بشيء من التحريف اللفظي كما أصابها بالتحريف المعنوي، وقد حسب أن دعوة محمد لا تحتاج إلى المعجزات، وإذن لا معجزات. هكذا حسب، وهكذا حكم. دعوة محمد غنية عن المعجزات فلا معجزات. لا أدري كيف أغناها عن المعجزات، وكيف لا يجد فائدة مطلقاً في المعجزات، وكيف لا يقدر أن يفهم أن قوماً من أعداء دعوة محمد قد يؤمنون بالمعجزات، وقد يزدادون إيماناً لها، وقد ينفعهم الله بها فتكون لها فائدة كي يؤمن بها مؤلفنا وكي لا يشتد في إنكارها وكي لا يلج في عداوتها وتكذيبها؟!! ما أعظم فائدة المعجزات لو أن الدكتور تمهل، وما أعظم بركة المعجزات لو أنه تريّث. فللمعجزات من التأثير على أكثر النفوس ما لا يوجد إلّا فيها وما لا يكون إلّا لها. وكم يؤثر على قريش أن ترى الماء ينبع من بين أصابع رسول الله عندما يمسّهم الظمأ، فإذا الماء كثير، وإذا القوم مرتوون. وكم يؤثر على الأعرابي أن يطلب من رسول الله نقل الشجرة من مكانها فيرغب رسول الله إلى الله فإذا بها منتقلة، ويرغب إلى الله لترجع فإذاً هي راجعة. لا أحسب أحداً من خلق الله يزعم أن مثل هذه المعجزات لا فائدة فيها، ولا أحسب أحداً يماري في أن لهذا النوع من التأثير والسلطان ما لا يوجد في المعجزات العلمية.

والناس طبقات في تفكيرهم واستعدادهم: فريق لا يؤمن إلّا بالمعجزات الحسية، وفريق لا يؤمن إلّا بالمعجزات العلمية، وفريق يؤمن بالنوعين معاً، ويزداد إيماناً بالنوعين

معاً. ومحمد رسول الطبقات كلها، فكان من حكمة اللّه أن ينوع له المعجزات، وأن يعزّز دعوته بما عزّز به دعوة جميع من سبقه من الرسل، لأنه قد أرسل إلى أمم الأنبياء كلها، ولأنه رسول الأحمر والأسود. وهل من الحكمة أن يطلب من النبطي والأعرابي والفلاح أن يعقلوا المعجزة العلمية ويدركوا إعجازها ودلالتها على النبوة ولا يرسل اللّه إليهم ما به يطمئنون كالمعجزات الحسية الملموسة؟!

لا شك أننا إذا جرينا مع العقل لم نر بدّاً من الإيمان بالمعجزات الحسية الملموسة.

ومؤلفنا يحسب الناس كلهم فلاسفة مثله غير محتاجين إلّا إلى الدعوة المعقولة، فإذا هم يسلمون، وإذا هم يؤمنون، وإذا إيمانهم يقوى، وإذا هم يتفانون في الدفاع عن الدعوة المعقولة، وإذا هم يجاهدون دونها كما فعل الدكتور. ولكن فاته أن كون الشيء معقولاً لا يضمن له قبول الناس إياه.

ومؤلفنا يحتج هنا وفي مواضع من كتابه على نفي المعجزات بأنها خلاف سنّة اللّه. وهو يعجل كثيراً في هذا الحكم وإلّا لما زعم أن إثبات المعجزات يخالف سنّة اللّه وهو يؤمن بالمعجزات لسائر المرسلين فيا سيدي إذا كان جميع المرسلين جاؤوا بالمعجزات فكيف يكون مجيء محمد بها خرقاً لسنّة اللّه ألا يكون حرمان محمد منها خلاف سنّة اللّه، عكس ما تدعي هذا هو الحق يا صاح ولا ريب.

وكم نخشى أن يكون مؤلفنا يرمي من وراء هذه المقالة إلى الشك في المعجزات التي في القرآن وغير القرآن لأنه يحرص جداً على الإيمان بسنّة اللّه. يأبى أشد الإباء أن يخالف سنّة اللّه. يخالف الأولين والآخرين ولا يستطيع أن يخالف ما يسميه سنّة اللّه. وهو يرى مع هذا أن وجود الخوارق خلاف سنّة اللّه. إذن لا خوارق لا في القرآن ولا في غيره. كم نخشى أن يكون الدكتور يرمي بمقالته هذه إلى هذه النتيجة المُرة ويرمي بالمقدمات إلى النتائج وإن خالفت النتائج الأولين والآخرين، اللّهم إن الخطأ في المنطق والتناقض في المنطق أيسر عندنا من أن يسير المنطق في سبيله إذا كانت نتائجه تصيب الدين في المقتل.

قصة الفداء والذبح

وقال في ص ٤٨، تحت عنوان قصة الفداء في القرآن: «وقصة الذبح والفداء أن إبراهيم رأى في منامه أن اللّه يأمره بأن يقدم ابنه قرباناً له، فيذبحه ويحرقه فسار وابنه في الصباح ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾[1].

ولعله من العجب أن يخطىء الدكتور في آيات القرآن التي نقلها فيزعم أن اللّه أمر إبراهيم بأن يذبح ابنه وأن يحرقه ويزعم أن ذلك في القرآن. والقرآن ليس فيه، كما رأيت في الآيات التي نقلناها لك ونقلها الدكتور، ذكر للتحريق، وإنما فيها الذبح فقط.

ولا أدري كيف جاءه هذا السهو مع ألمعيته التي لا تدفع، ومع تحّريه فيما يكتب وما يدع، كما لا أدري كيف فات ذلك مراجعي تصحيح الكتاب. أخشى أن يكون هذا دليلاً على هروب القرآن الكريم من الصدور المسلمة. والكبش الذي افتدى اللّه به ابن إبراهيم لم يحرق، وإنما ذبح وتصدق بلحمه على الفقراء والمعوزين، والأضاحي التي يذبحها المسلمون في عيد الأضحى هي استنان بما فعله إبراهيم عليه السلام.

قصة شقّ الصدر ومنطق الدكتور

وقال في ص ٧٢: «أسطورة شق الصدر».

وذكر تحت هذا العنوان أن هناك رواية تقص أن الملائكة جاؤوا محمداً وأناموه وشقوا صدره وخاطوه، ثم ذكر أن المستشرقين لم يطمئنوا إلى صدق هذه الحادثة، ثم اختار هو أنها أسطورة كما ذكر في العنوان، ولم يعبأ بالرواية، كما لم يعبأ برواية أصدق الرواة وأعلمهم بالروايات لها وهم شيوخ المحدثين البخاري ومسلم وغيرهما.

وكتب في الصفحة التالية مقيماً الدليل على شكّه في القصة بل على نفيه لها:

---

(١) سورة الصافات، الآيات: ١٠٢ ـ ١٠٧.

http://www.al-maktabeh.com

«وإنما يدعو المستشرقين ويدعو المفكرين من المسلمين إلى هذا الموقف من هذا الحادث أن حياة محمد كانت كلها حياة إنسانية سامية، وأنه لم يلجأ في إثبات رسالته إلى ما لجأ إليه من سبقه من الخوارق. وهم في هذا يجدون من المؤرخين العرب والمسلمين سنداً حين ينكرون من حياة النبي العربي كل ما لا يدخل في معروف العقل ويرون ما ورد من ذلك غير متفق مع ما دعا القرآن إليه من النظر في خلق اللّه وأن سنّة اللّه لن تجد لها تبديلاً. غير متفق مع تعيير القرآن المشركين بأنهم لا يفقهون أن ليست لهم قلوب يعقلون بها».

ونحن هنا لا نعنى بمسألة شقّ الصدر كثيراً ولا يعنينا قبول الدكتور لها أو ردّه إياها، فهي مسألة فردية، الخطب في تكذيبها، وإن تكن واقعة صدقاً، سهل. فليس في تكذيب الدكتور لها ما يدعونا إلى مؤاخذته، وإن يكن غيرنا قد يؤاخذ على ذلك ويرى فيه جناية أو شبه جناية على الروايات، كما قد يرى فيه تشجيعاً لأقوام على ردّ الأخبار الصحاح لأهون الأسباب، لمجرد شبهة تثب في الرأس أو تلجلج في الضمير. وما أكثر الشبهات على كل صحيح لدى من يطاوعها ومن ينساب معها، كما يرى في نفي الحادثة ما يهون من شأن الحديث ورجال الحديث وكتب الحديث في عصر أظهر ميزات أهله الشك والتفاخر بالشك، والقدح في الأسلاف وما تقوله الأسلاف.

فردّ قصة شق الصدر لا يهمنا هنا كثيراً وإن كان فيه ما ذكرنا وأكثر مما ذكرنا، وإنما يهمنا هنا منطق نفي القصة، الدليل على نفي القصة، حجة الدكتور على أن القصة أسطورة من الأساطير وهو قوله: «وإنما يدعو المستشرقين ويدعو المفكرين، إلخ..».

فإن في هذه الحجة ما يستحق البحث والدراسة، وما يستحق أن نشغل التفكير فيه ولو بعض الوقت.

والدكتور هيكل من رجال القانون الحاذقين بالمنطق وصياغة المنطق، الحاذقين بمنتج الدلائل وعقيمها، فهل يسمح بأن يسمع قولاً هو به أعلم، فإن قوانين الدلائل وقوانين المنطق، وإن تكن لها علوم تدرس، يشترك في فهمها جميع العقلاء، حتى البدوي في خيمته، والزارع في حقله.

يرى الدكتور أن حياة محمد إنسانية بحتة، ويرى أن شقّ الصدر يتنافى مع الحياة الإنسانية. إذن لم يشق الصدر. هكذا يصوغ الدكتور برهانه.

وأما نحن، وأما أنت أيها القارىء، فلا ندري، كما لا تدري، كيف ينافي شق الصدر الحياة الإنسانية، وكيف لا يشق صدر الإنسان، ونحن نرى الطب الآن يشق ما يشاء من الصدور، بل يشق ما يشاء من جسم الإنسان؟! كما لا ندري كيف لا يشق الله صدر من شاء من عباده ويخصّه بما يشاء؟!

وهل من الحياة الإنسانية لدى دكتورنا أن يُعرج بالإنسان إلى السماء، وُيسرى به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى في ليلة واحدة، والدكتور يؤمن بالإسراء والمعراج؟!

وهل من الحياة الإنسانية إحياء الموتى وإبراء الأبرص والأكمه، والدكتور يؤمن بأن عيسى عليه السلام إنسان وأن حياته حياة إنسانية، ويؤمن بأن عيسى كان يحيي الموتى ويبرىء الأكمه والأبرص بإذن الله؟!

وهل من الحياة الإنسانية أن يلقي الإنسان عصاه فإذا هي حية تسعى، وإذا هي تلقف ما أمامها، والدكتور يؤمن بأن عصا موسى كانت كذلك، ويؤمن بأنه كان إنساناً وأن حياته حياة إنسانية؟!

وهل من الحياة الإنسانية أن يلقى الإنسان في النار فلا تصيبه بسوء، وإذا هي برد وسلام، والدكتور يؤمن بأن إبراهيم ألقي في النار وخرج منها سليماً، ويؤمن بأنه كان إنساناً وبأن حياته حياة إنسانية؟!

بل هل من الحياة الإنسانية أن يبقى الإنسان في النار الموقدة لا يموت ولا يحيى، والدكتور يؤمن بأن الذين يكفرون بالله ويجحدون الحق من الأناسي هم في النار وهم لا يموتون فيها ولا يحيون، إلى غير ذلك من الأمثال التي تصادم هذه الحجة ولا يمكن أن تقابلها؟!

إذن الاستدلال على نفي قصة شقّ الصدر أو غيرها من الخوارق عن رسول الله بحجة أنه كان إنساناً وأن حياته كانت حياة إنسانية استدلال يذوب أمام المنطق

الصائب، ولا يقف أمام البحث الصحيح، لا طويلاً ولا قصيراً.

والدكتور يستدل على نفيه القصة بأنها لا تدخل في معروف العقل، أي إن العقل لا يجيزها، بل يراها من طائفة المستحيلات. ونحن وإن توقفنا في كل شيء أو شككنا في كل شيء فإننا لا نستطيع أن نشك وأن نتوقف في أن العقل لا يأبى أن يشق اللّه صدر محمد أو غيره من عباده ونحن في زمن الجراحة والجراحين.

ومثل عملية شقّ الصدر يقع كل يوم على علم من الدكتور، بل على علم ممن هو أقل من الدكتور. ولو أن العقل يأبى شق الصدر، ويأبى جوازه لكان إباؤه لسائر معجزات الأنبياء التي ذكرناها والتي يؤمن بها الدكتور أشد وأقوى. والعقل في حكمه على الأشياء بالاستحالة والجواز، لا يفرّق بين زمان وزمان، ولا بين مكان ومكان، كما لا يفرّق بين نبي ونبي، فلا يفرّق بين عيسى ومحمد كما لا يفرّق بين محمد وموسى.

فإذا كان من المعروف للعقل معجزات موسى وعيسى وغيرهما، لم يكن من المجهول للعقل مسألة شق الصدر يقيناً، وإلّا لو عرف العقل تلك الخوارق للأنبياء، ولم يعرفها لخاتمهم محمد عليه الصلاة والسلام، لم يكن عقلاً بل كان وهماً زائلاً وعاطفة غير مضبوطة. وإذاً لا بدّ أن يعرف العقل هذه الخوارق كلها أو يجهلها كلها. وأما أن يعرفها لجميع الأنبياء وينكرها لمحمد، فشيء لا نعرفه ولا نرضاه من العقل، وإلّا لثرنا عليه ولما تفاخرنا به وتهاجونا بفقده.

والدكتور يستدل على كذب القصة بأنها تبديل لسنّة اللّه ﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا﴾[1].

وأما نحن وأنت أيها القارىء، فلا نعلم أن هذه القصة تخالف سنّة اللّه، وأنها تبديل لها، وما نحسب القرّاء يعلمون ذلك. إن إثبات هذه القصة لرسول اللّه إثبات له من حيث هو رسول لا من حيث هو إنسان فقط. فإن كانت سنّة اللّه ألا يخلق الخوارق على أيدي الأنبياء الذين سبقوا محمداً أمكن أن يقال إن سنّة اللّه تأبى أن يخلق خارقة لمحمد عليه السلام وأمكن أن يقول دكتورنا إن سنّة اللّه التي لا تبدل تأبى شقّ الصدر. وأما إذا

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٦٢.

كانت سنّة اللّه المعروفة أن يخلق الخوارق على أيدي الأنبياء السابقين، باعتراف دكتورنا واعتراف كل مؤمن بالأنبياء وباعتراف كل مؤمن بالكتب المقدسة، لم يكن من سنّة اللّه إباء ذلك في حق آخرهم، ولم تكن سنّة اللّه لتبخل بها على أفضلهم. بل إذا كان الأمر كذلك، وهو كذلك، وجب أن يقال إن سنّة اللّه تقضي بأن تقدم لمحمدﷺ أنواعاً من ذلك، وتقضي بأن تمنحه نصيباً كبيراً من هذه المنحة التي تفضل اللّه بها على سائر الأنبياء: عيسى وموسى وإبراهيم وخلافهم.

وأما لو قلنا إن سنّة اللّه وهبت هذه المنحة كل الأنبياء الذين قبل محمد، وقسمت عليهم من ذلك ما شاء اللّه، فلما أن جاءت عند خاتمهم وأعمّهم ديناً ودعوة حرمته ذلك الفضل حرماناً باتاً، لخصصنا سنّة اللّه، ولخالفناها، ولما تركناها على نمط واحد.

هكذا يجري البحث، وهكذا ينتج الإمعان في البحث الحق، لا كما قال دكتورنا الجليل.

على أن العجيب جداً أن يختم برهانه بقوله:

«ويرون ما ورد في ذلك غير متفق مع تعبير القرآن للمشركين بأنهم لا يفقهون أن ليست لهم قلوب يعقلون بها».

ولن نأثم أو نغلط إذا قلنا إن تعبير القرآن للمشركين بأنهم لا يفقهون، لم يدل قط على كذب رواية شقّ الصدر أو غيرها من الخوارق، أو قلنا إنه لم يستدل أحد من مفكري علماء الإسلام، قبل الدكتور، بذلك على كذب هذه الرواية، أو قلنا إنه لم يقع في بال عليم بالقرآن منذ ثلاثة عشر قرناً على أن قول القرآن الكريم إن الكفار لا يعقلون لم يكن دليلاً أو بعض دليل على كذب هذه القصة واختلاقها.

وإن استطعنا أن نحمل تعبير القرآن كل رأي في الأرض، فلن نستطيع أن نحمل قوله في الكفار إنهم لا يعقلون الدلالة على أن رواية شق الصدر من أساطير الرواة وأوهامهم.

وإن وجدنا لكل رأي في تفسير كتاب اللّه مخرجاً قد يقبل وقد ينفق عند فريق من الناس، فلن نجد لهذا الرأي في تفسير الآيات مخرجاً.

http://www.al-maktabeh.com

ونحن لو احتججنا على إثبات هذه القصة بما احتجّ به الدكتور على نفيها، لكان احتجاجنا أقرب إلى الواقع، ولكان أكثر توفيقاً في ميزان النظر.

وبيان ذلك أن الكفار مكذبي محمد عليه السلام كانوا يكذبونه كلما أخبرهم بما لم يعتادوه وبما لم يقع تحت حسهم، كما كذبوه لما أخبرهم بالإسراء والمعراج، وكما كذبوه لما أخبرهم بأن في النار شجرة الزقوم، وقالوا كيف تبقى الشجرة في النار ولا تحترق، وكما كذبوه لما أخبرهم بأن الملك يأتيه وهم لا يرونه، وكما كذبوه، إذ أخبرهم بالبعث وبحشر الأجسام، قائلين: إن ذلك غير مستطاع، وكما كذبوه إذ أخبرهم بما خلق اللّه على أيدي عباده السالفين من الخوارق والمعجزات، وكما كذبوه في كل ما أنبأهم به مما لم تتسع له آفاق عقولهم الضيقة بحجة أنهم لم يروه ولم يحسّوه.

هكذا كان شأن رسول اللّه، وهكذا كان شأن الكفار معه: يحدثهم عن أسرار اللّه وعن شؤونه فيقابلونه بالكفران محتجين بأنهم لم يروه فهو غير مستطاع وغير داخل في حدود القدرة، فيرد اللّه عليهم ويرد عليهم رسوله بأن اللّه على كل شيء قدير وبأنه لا يعاجز ولا يغالب، فما لهم لا يعقلون ولا يتدبرون، وما لهم لا يستدلون بما رأوا على ما لم يروا مما يدل على شمول قدرة اللّه وعظيم سلطانه؟! فما لهم ينكرون قدرة اللّه على خلق هذه الخوارق، وعلى شق صدر رسوله، وعلى الإسراء والمعراج، وفي أنفسهم الدلائل على ذلك، وفيهم الدلائل القاهرة على ما أنكروا وجحدوا؟! فما لهم لا يفقهون وفي أنفسهم أفلا يبصرون؟!

هم ينكرون الخوارق والمعجزات، وفيهم الخوارق والمعجزات، وفي خلقهم وموتهم وحياتهم الخوارق والمعجزات، وفي أحقر عضو فيهم وأبسط تكوين في أجسامهم توجد الخوارق والمعجزات.

ينكرون على اللّه أن يشق صدر رسوله وهم يشاهدونه يشق لهم الأسماع والأبصار، يشق لهم الأفواه والآذان، ويشق لهم الأصابع والأعضاء، ويشق لهم ويشق، ويبدع في الشق ويحكم في الشق. فما لهم إذن ينكرون تلك الخوارق؟! أفليست لهم قلوب يعقلون بها ما يشاهدونه ويستدلون به على ما لم يشاهدوه؟! فما أضيق عطن من كذب بما لم ير، ومن جحد كل ما لم يقع تحت حسه! فما أضيق عطن الكفار وأقل عقولهم وتفكيرهم!

ولو أن القوم رزقوا شيئاً من سعة التفكير، وشيئاً من الاختراع في التعقل، ما أكبروا هذه الخوارق على قدرة اللّه، ولكن القوم لا يعقلون ولا يتدبرون، فهم كالأنعام لا يصدقون إلّا ما يبصرون، فهم فاقدون حاسة المنطق، تلك الحاسة التي تستدل بالمقدمات على النتائج، وتعلم المجهول بالمعلوم.

ألا ترى بعد هذا أن هذه الحجة التي احتج بها الدكتور على كذب القصة هي في الواقع في جانب من يثبت القصة؟!

وألا ترى بعد أن هذه الحجة لا تدل البتة على ما أراد الدكتور؟!

ثم ألا ترى، بعدما قدمنا، أن من يأبى الإيمان برواية شق الصدر بالدليل الذي ألّفه مؤلفنا في كتابه، لا بدّ أن يأبى بنفس الدليل جميع الخوارق والمعجزات في كل زمان ومكان، ولا بدّ أن يأبى ذلك في حق عيسى وموسى وغيرهما، ولا بدّ أن يأبى الإيمان بما ذكره القرآن من تلك الخوارق؟!

وإننا لو ذهبنا نقيس، أو لو أردنا الذهاب مع القياس الصائب، لذهب بنا القياس إلى الإيمان بالخوارق من شقّ صدر وخلافه، أو لما كان القياس مانعاً من الإيمان بذلك، فإننا نرى التخصيص قد نال مخلوقات اللّه كلها. ننظر إلى الشمس فنجد اللّه قد خصّها بخصائص لا توجد في غيرها، وننظر إلى القمر فنجده كذلك، وننظر إلى الأرض فنجدها كذلك، وننظر إلى سائر الأجرام العلوية فنجدها كذلك ونجد فيها التخصيص والتمييز، بل ننظر إلى كل شيء في هذا الكون من بسيط ومركب فنجد التخصيص قد ساده، فنجد خصائص في النار لا توجد في الماء، كما نجد في الماء خصائص لا توجد في الهواء. وهكذا كل شيء في الأرض والسماء.

فإذا كان اللّه قد عمّ خلقه بالتخصيص فكيف نأبى التخصيص لرسل اللّه، فأبى أن يكون اللّه قد خصّهم بشيء، ونصر على أن يكونوا كسائر الناس تماماً ألا يكون هذا منازعة لسنّة اللّه وانحرافاً عن المنطق الصائب؟!

قبل الجواب على هذه الأسئلة نرجو الدكتور، ونرجو القرّاء، ونرجو كل من يعشق الحق للحق، أن يفكروا في ذلك جيداً وأن يحكموا الحق فيما يقولون وما يصدقون.

ممن تعلم موسى التوحيد؟

وقال في ص ٢٧: «في مصر نشأ موسى وفي حجر فرعون تربى وتهذّب وعلى يد كهنته ورجال الدين من أهل دولته عرف الوحدة الإلهية وعرف أسرار الكون».

ولا أظن قارئاً يرضى مقالة الدكتور هذه، لا أظنه يرضى أن يكون موسى نبي اللّه وكليمه قد تلقى وحدة اللّه وتوحيده وعلم أسرار خلائقه وما فيها من آيات ومن عبر ومواعظ على أيدي كهان فرعون ورجال دينه، لا أظن القارىء يرضى ذلك البتة، بعد أن قص اللّه عليه، وبعد أن قصّ عليه التاريخ، ما كان يزعم فرعون لنفسه من ألوهية وربوبية، وما كان يجاهر به من إنكار للإله الحق سبحانه وجحد له، وبعد أن قصّ التاريخ طاعة قومه له ورضاهم بما فرض عليهم من العبودية له، لا جرم أن القارىء سوف يعترف أن هذه القولة من أعظم زلات القلم.

كم ينفر المسلمون وكم يغضبون أن يقال إن محمداً ﷺ قد تلقى التوحيد وعرف اللّه وعرف أسرار خلقه على يدي كهان العرب وعلماء الوثنيين، أو على أيدي أحبار اليهود ورهبانهم، أو على أيدي علماء النصارى وقسيسهم، أو يقال تلقّى ذلك على أيدي الشعراء والحكماء.

إن المسلمين عموماً، ومن أولهم الدكتور ولا شك، لا يرضون ذلك ولا يستسيغونه، فكذلك لا يمكن أن يقبلوا هذه المقالة في حق نبي من أنبياء اللّه لا موسى ولا غيره.

ولقد كان من اليسير جداً على كاتبنا العظيم أن يراجع آيات القرآن للعلم بأن موسى عليه السلام قد تلقى وحدة الله من عالم السر والنجوى، وقد كان من السهل مراجعة قوله تعالى من سورة الشعراء: ﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝١٠ قَوْمَ فِرْعَوْنَ ۚ أَلَا يَتَّقُونَ﴾[1]. إلى قوله: ﴿قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ۝١٨ وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ ٱلَّتِى فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ۝١٩ قَالَ فَعَلْتُهَآ إِذًا وَأَنَا۠ مِنَ

(١) سورة الشعراء، الآيتان: ١٠، ١١.

ٱلضَّآلِّينَ ﴿٢٠﴾ فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾[1] إلـخ الحوار بين نبي اللّٰه موسى وبين فرعون.

فهذه الآيات في غاية الصراحة في أن فرعون وقومه ما كان لهم علم بهذا الشأن، شأن توحيد اللّٰه، بل ولا كان لهم علم به تعالى. فما أبعد أن يعلموا موسى ذلك التوحيد الذي لم يرضوه منه ولم يقابلوه إلّا بالتكذيب والكفران كما هي صريحة بأن نبي اللّٰه موسى ما هُدِي إلى هذا العلم وإلى هذا النور البائق إلّا بعد أن فارق فرعون وملأه الظالمين.

هل تحبل العقيم من الغيرة؟

أما ما رآه مؤلفنا ص ٤٨ من أن سارة حملت من الغيرة، وأن الغيرة قد أذهبت عنها العقم، فهذه مسألة نفسية، ولسنا لسوء الحظ من علماء النفس، فلن نقدر على قبولها أو نفيها على حذو العلماء النفسيين. ولكن الأمر الذي لا ينبغي أن نغفل عنه، كما لا ينبغي أن يغفل عنه كاتبنا، هو أن قصة حمل سارة قد ذكرها القرآن الكريم في آيات. ولنضعها أمام القارىء الكريم لينظر أين تتجه، وليعلم مبلغ قول مؤلفنا من الصحة، وهل يماشي الآيات أم ينافيها، والحكم للقراء وحدهم في أنفسهم:

قال تعالى في سورة هود: ﴿وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوا۟ سَلَٰمًا قَالَ سَلَٰمٌ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا۟ لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٠﴾ وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾ قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوٓا۟ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ﴾[2].

وقال في سورة الذاريات: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ﴾ إلى قوله: ﴿فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا۟ لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ فِى صَرَّةٍ

(١) سورة الشعراء، الآيات: ١٨ ـ ٢١.

(٢) سورة هود، الآيات: ٦٩ ـ ٧٣.

فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴿٢٩﴾ قَالُوا كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ ۖ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ﴾(١).

ولقد كنا نسمع العامة يقولون إن غيرة المرأة قد تؤثر في العقم وقد تكون سبباً للحمل وقد تحمل المرأة إذا ما واثبت الغيرة نفسها. وكنا نظن أن المسألة مسألة عامية صرفة لا نصيب لها من التحقيق والعلم، فإذا بنا نرى كتّابنا الأعلام العصريين يقررونها ويؤمنون بها، وإذا بنا نعلم أن علماء النفس أو بعض علماء النفس يقولون ذلك ويؤمنون به، وإذا بنا نجد ما كان يعد بالأمس خرافة اليوم حقيقة وعلماً، وإذا بنا نرى الآراء تتبدّل والأنفس تتغير.

رحلة محمد عليه السلام الأولى إلى الشام

وقال ص ٧٦: «إن محمداً عليه السلام في رحلته الأولى إلى الشام قد لقي أحبار النصارى، ووقف على النصرانية، وسمع من الكتب المقدسة، وسمع منهم بعض أخبار الغيب التي نبّأ بها القرآن فتحققت نبوءته».

وليس للدكتور على هذه المقالة من برهان غير قول المستشرقين الذين ينكرون نبوة محمد، والذين ينكرون أن يكون بينه وبين السماء صلة، والذين يقولون إن ما جاء به من توحيد ومن أمور صائبة صحيحة غالبة مأخوذ من علماء عصره. وهذا قول المشركين في زمنه عليه السلام. قال الله تعالى في سورة النحل: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ﴾(٢). وقال في سورة الفرقان: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ ۖ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا ﴿٤﴾ وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾(٣).

والقرآن مصرح كل التصريح بأنه عليه السلام ما كان يعلم من ذلك شيئاً قبل أن يُوحى إليه. وفي سورة هود: ﴿تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ ۖ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا

(١) سورة الذاريات، الآيات: ٢٤ ـ ٣٠.
(٢) سورة النحل، الآية: ١٠٣.
(٣) سورة الفرقان، الآيتان: ٤، ٥.

قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا ۖ فَاصْبِرْ ۖ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾﴾[1]. وفي سورة الشورى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ﴾[2].

ولعلها إحدى عجائب الدنيا أن يزعم الدكتور أن طفلاً يبلغ من العمر اثني عشر عاماً على قول وتسعة أعوام على قول آخر، طفلاً عربياً فقيراً يتيماً، يذهب إلى بلاد الشام، بلاد الحضارة والغنى والكبرياء، فتتنزل له أحبارها ورهبانها من سماء كبريائها وتألهها لتجادله في الدين ولتقفه على أسرار النصرانية، ولتسمعه من أخبار الغيب ومن كتبهم المقدسة المضنون بها على غير أهلها. ونحن نعلم، والدكتور يعلم، ما كان للأحبار في ذلك الزمن من العظمة ومن الكبرياء والتأله. نعم، لعل هذا الزعم إحدى عجائب الدنيا.

رحلته عليه السلام (الثانية)

وذكر ص ٨٣ أنه عليه السلام قد اتصل في رحلته الثانية إلى الشام بالنصرانية، والتقى بالأحبار والرهبان، وجادلهم وجادلوه في دين عيسى، وحادثهم وحادثوه.

وهذا أيضاً مقال منكري نبوته عليه السلام، وهو خيال محض لا نصيب له من الرواية ولا من الحقيقة ولا من المنطق. فلقد يصعب على المنطق أن يسلم أن شاباً عربياً أمياً فقيراً يذهب إلى بلاد الشام ليتّجر فيقف على النصرانية ويلتقي بالأحبار والرهبان فيجادلوه في دينهم وفي دين عيسى، ويحادثهم ويحادثوه. أجل، هذا شيء كثير على المنطق، وشيء لا يستطيع أن يسلم به أبداً.

هل كان عليه السلام مشغولاً بتلقي البلاغة؟

وذكر ص ٧٧ أنه عليه السلام كان مشغولاً بتلقي البلاغة في أسواق العرب على الشعراء والحكماء، مشغولاً بتلقي الحق من علماء اليهود والنصارى، وما يقصّونه عن كتبهم المقدسة وعن موسى وعيسى.

---

(١) سورة هُود، الآية: ٤٩.

(٢) سورة الشّورى، الآية: ٥٢.

http://www.al-maktabeh.com

وهذا أيضاً ليس له عليه من دليل سوى قول الجاحدين رسالته ﷺ.

وإلى هذا يعزون ما في القرآن من بلاغة ومن سمو في التعبير، وما فيه من حق ومن تاريخ صائب صحيح، ومن أخلاق فاضلة عليا.

وهذا كله خلاف ما أجمع عليه علماء الرواية وعلماء التاريخ من أنه ﷺ كان مبتعداً عن ذلك كل الابتعاد، وكان نافراً منه كل النفور. كان بعيداً عن قومه وعن مجالسهم وعما فيها من قريض ومن بلاغة.

ولقد صحّ في كتب الحديث الصحاح أنه كان ينشد الأشعار فلا يأتي بها على وجهها ولا يأتي بها موزونة، فيقول له أبو بكر: بأبي وأمي أنت يا رسول اللّه لست بشاعر ولست براو للشعر.

ولقد يكون من اليسير على العرب أخصام محمد، إذا كان الأمر كما زعم الدكتور، أن يقولوا له: إن القرآن الذي جئتنا به ما هو إلّا من بلاغتنا التي تلقيتها في أسواقنا ومحافلنا. وقد ذكر اللّه في القرآن أنه تعالى حرمه تعلم الكتابة والقراءة لئلا يطعن عليه المخالفون بذلك فيقولوا: إنك تعلمت وإنك قرأت.

إبراهيم يدعو الناس إلى احترام عقله

ويذكر ص ٤٧ أن نبي اللّه إبراهيم كان يدعو الناس إلى احترام عقله، كما ذكر هنالك أن الذي هداه إلى التوحيد وإلى محاجة المشركين طول تفكيره وكثرة إمعانه في البحث.

مجيء إبراهيم إلى مصر

وفي ص ٤٨ عبث بقصة إبراهيم لما جاء إلى مصر مع زوجه سارة عبثا كنا نربأ به عن أن يقع فيه. قال في الصفحة المذكورة: «ومن فلسطين ارتحل إلى مصر، وبها يومئذٍ ملوك العماليق، وكانت سارة جميلة وكان الملوك الهكسوس يأخذون الجميلات المتزوجات، فأظهر إبراهيم أن سارة أخته خشية أن يقتله الملك ليتخذها له زوجاً، فرأى في المنام أنها ذات بعل، فردّها إلى إبراهيم بعد أن عاتبه وأعطاه هدايا من بينها جارية تدعى هاجر، ولما كانت سارة قد سلخت السنين الطوال مع إبراهيم ولم تلد، فقد دفعته

ليدخل بهاجر، فدخل بها فلم تبطىء أن ولدت له إسماعيل ولما شبّ إسماعيل وترعرع دبّت الغيرة في نفس سارة فحملت ثم ولدت إسحاق».

هذا سياق كتاب حياة محمد. والسياق الصحيح هكذا: «عن أبي هريرة عن رسول اللّه عليه السلام قال لم يكذب إبراهيم إلّا ثلاث كذبات: اثنتين منهن في ذات اللّه قوله ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾[1] وقوله ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا﴾[2]. قال وبينا هو ذات يوم وسارة إذ أتى علي جبار من الجبابرة فقيل له إن هذا رجل معه امرأة من أحسن الناس، فأرسل إليه فسأله عنها، فقال من هذه؟ قال أختي، فأتى سارة فقال يا سارة ليس على وجه الأرض مسلم غيري وغيرك، وإن هذا سألني عنك فأخبرته أنك أختي فلا تكذبيني، فأرسل إليها، فلما دخلت عليه ذهب يتناولها بيده فأخذ، فقال ادعي اللّه لي ولا أضرّك فدعت فأطلق، ثم تناولها الثانية فأخذ مثلها أو أشد، فقال ادعي اللّه لي ولا أضرك فدعت اللّه فأطلق، فدعا بعض حجبته وقال إنك لم تأتني بإنسان إنما أتيتني بشيطان، فأخدمها هاجر، فأتته وهو يصلي فأومأ بيده: مهيم «أي ماذا حصل» قالت ردّ اللّه كيد الكافر في نحره وأخدم هاجر» رواه البخاري ومسلم أصح كتب الرواية بلا نزاع.

ولتنظر ما بين السياقين من خلاف، ولتنظر لماذا عدل الدكتور عن السياق الصحيح إلى سياقه الذي رويناه. أخشى أن يكون الحامل له على هذا فراره من المعجزة أو الخارقة التي وقعت على يد سارة.

عبادة خديجة للأصنام

ويذكر ص ٩٠، ص ٩١ أن خديجة رضي اللّه عنها كانت تعبد الأصنام، وكانت تقرّب لها القرابين والنحائر في الوقت الذي كانت فيه زوجاً لرسول اللّه. ويذكر أن رسول اللّه كان يراها وكان يرى عبادتها فلا ينكر عليها شيئاً ولا يعرّفها أنها أخطأت.

هذا. وهو يذكر أن رسول اللّه كان مبغضاً للأصنام، مبغضاً لعبادتها ولعبادها، منذ كان صغيراً ومنذ عرف الخير والشر.

---

(١) سورة الصّافات، الآية: ٨٩.

(٢) سورة الأنبياء، الآية: ٦٣.

هل كان عليه السلام ينسى نفسه؟

ويذكر ص ٩٢ أن رسول اللّه كان في أوقات ينسى نفسه وينسى طعامه وينسى كل شيء في الحياة. وهذا حال المرضى والمصروعين و«المجاذيب» لا حال العاقل الرزين الثابت، إلّا أن يكون الدكتور يكتب شعريات لا علميات.

والشعر هو الذي تجوز فيه المبالغة ويروج فيه التهويل. والعمليات عمليات فحسب.

هل كانت خديجة تؤذي رسول اللّه ﷺ

ويذكر ص ١٠٠ أن خديجة، تلك الزوج البارة العطوف الرحيمة، كانت تقول لزوجها رسول اللّه في أحرج ساعاته وأشد أوقاته: «ما أرى ربك إلّا قد أبغضك».

وخديجة التي يزعمها دكتورنا جبهت زوجها رسول الله بهذه المقالة الجافة الموجعة حقاً هي التي قالت له عند فزعه الأكبر «واللّه لا يخزيك اللّه أبداً» وهي التي يزعمها دكتورنا وزير صدق لرسول اللّه.

والرواية التي خدع بها هي رواية ضعيفة.

دعوة محمد والطريقة العلمية الحديثة

ويذكر ص ١١٢ تحت هذا العنوان أشياء أنفر منها كل النفور، أشياء يستوحش منها الفؤاد المؤمن، ويزعمها أساس الدعوة المحمدية. وربما دلّ مقاله على أن دعوة محمد ودينه أشياء نظرية استدلالية لا تمت إلى السماء بسبب، ويزعم أيضاً أن هذه الطريقة تقتضي الباحث أن يجرد نفسه من كل شيء ومن كل عقيدة سواء أكانت حقاً أم كانت باطلاً فمثلاً إذا أراد مسلم أن يبحث الإسلام والأديان وجب عليه أن يجرد نفسه من كل عقيدة، وأن يجرد نفسه من الإيمان باللّه، ومن الإيمان بمحمد عليه السلام، ومن الإيمان بالإسلام، ومن الإيمان بكل عقيدة، ثم يشرع في بناء عقيدته من جديد!

ولينظر القارىء ما هذا؟! ولينظر هل هذه الطريقة الحديثة الإسلامية المحمدية، كما يزعم، من دين الإسلام في شيء؟! أو هل هي من المنطق الصحيح في شيء؟!

حداد رسول اللّه على بعض نسائه

ويذكر ص ١٥٣ أن رسول اللّه قد أحدّ على زوجه خديجة. ويظهر أن الدكتور لم يعلم أن الحداد خاص بالنساء، وأن الرجال ليس عليهم حداد.

هل كان رسول اللّه يواد اليهود وهل كانوا موحدين؟

ويذكر ص ١٨٩، ص ١٩٠، أن رسول اللّه كان يواد اليهود، ويتقرّب إليهم، كما يذكر أن اليهود كانوا موحدين.

ولم ير بأساً فيما قال، وإن كان القرآن يقول: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾[1] ويقول: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾[2] ويقول: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾[3].

والعجب العاجب أنه يذكر في مواضع من كتابه أن اليهود كانوا ممعنين في الشرك والكفر، وكانوا ممعنين في عداوة رسول اللّه وفي مناوأته، كما كان هو ممعناً في عداوتهم ومناوأتهم.

غلطة

وفي ص ٣٠٢ يعذر طائفة من المنافقين، قدحوا في رسول اللّه، وقدحوا في صدقه، وأسرفوا في التهكم به حتى قالوا له في بعض أيامه العصيبة الرهيبة: «كان محمد يعدنا أن نأكل كنوز كسرى وقيصر وأحدنا اليوم لا يأمن أن يذهب إلى الغائط».

---

(١) سورة التّوبَة، الآية: ٣٠.

(٢) سورة التّوبَة، الآية: ٣١.

(٣) سورة المجَادلة، الآية: ٢٢.

http://www.al-maktabeh.com

هل أقرّ الإسلام شيئاً من الوثنية؟

ويذكر ص ٣٩٦ أن سدانة الكعبة وسقاية الحجيج وثنيتان أبقى عليهما الإسلام وجعلهما من دين المسلمين.

وهذه المقالة من أعظم الأخطاء التي اصطدم بها الدكتور. ونحن لا نستطيع أبداً أن نجد لقوله هذا من تأويل صحيح، فإنه إن كان يريد أن السقاية والسدانة كانتا مما يعمله المشركون. فقد كان الحج، وكان الطواف بين الصفا والمروة وفي الكعبة، وكان شيء كثير، يعمله المشركون ويؤدونه على أنه دين وعبادة للّه. فلماذا استثنى السقاية والسدانة من أعمال المشركين؟! إن في الأمر لشيئاً، وإن تحت مقاله لأمراً. وأتذكر أن أبا العلاء المعري كان يزعم أن الحج عمل وثني، وكان يعيب الإسلام بذلك.

المقارنة بين المسلمين والغربيين

ويذكر ص ٤٩٤ أن نظرات أمم الغرب اليوم في علوم الطبيعة وأبحاثهم الجديدة فيها هي النظرات التي تزيد الإنسان إيمانه بربه، وهي النظرات التي حثّ عليها القرآن كثيراً للدلالة على اللّه وعلى عبادة اللّه، وهي نظرات المسلمين الأولين في هذا الكون.

ولعل مقارنة الدكتور بين النظرتين: نظرة المسلمين ونظرة الغربيين، أو نظرة القرآن ونظرة الغرب في هذه المخلوقات من أبين الأخطاء التي وقع فيها.

إن نظرات الغرب في الطبيعة وفي الكون بأسره هي نظرات مادية صرفة يراد بها استخدام المادة واستخدام الكون بأسره في مقارعة الإنسان وفي التغلب على عباد اللّه بغياً وعدواناً. نظرات يراد بها استخدام الخلائق كلها في الشهوات واللذائذ وفي إرضاء النفس الجامحة الحريصة. نظرات بريئة من الروحانية، بريئة من الإيمان والاعتبار. وهذه النظرات من أبعد النظرات عن اللّه وعن الدلالة عليه، من أبعد النظرات عن أن تثمر لأصحابها غير التدمير والتخريب والتقتيل. وهذا هو الواقع اليوم في الغرب.

وأما نظرات المسلمين ونظرات القرآن فهي نظرات روحية سامية كل السمو. هي

نظرات اعتبار واتعاظ. نظرات استدلال على الخلاق العليم العظيم. هي نظرات بريئة من الطمع والمادة.

وهل تلتقي النظرتان حتى يلتقي الشرق والغرب وحتى يلتقي الإيمان والكفر؟! وما مثل النظرتين إلّا رجلان وقفا أمام قصر فخم مشيد، وقفا ينظران إليه، أحدهما ينظر إليه ليعلم كيف يهتدي إلى سرقة ما فيه والاستيلاء عليه بالعسف والجبروت واستخدام ما يجد فيه من ذهب وفضة وأموال في ظلم صاحب القصر وفي ظلم خلق اللّه وفي استخدامه في الفسوق والفجور. وهذه نظرة الغربيين في هذا الكون.

وثاني الرجلين ينظر إليه معتبراً بحذق بانيه وحسن صنعته، ذاكراً فضل اللّه وكثرة نعمه على مالكه، ذاكراً كيف فضّل اللّه بعض العباد على بعض في الرزق والعطاء حكمة منه ورحمة وعدلاً، ذاكراً ما يجب عليه من الحقوق والواجبات للفقراء وأبناء السبيل، ذاكراً كيف هدى اللّه الإنسان لأن يبني لنفسه أمثال هذا القصر للجمال وللحيطة من عدوان الطبيعة الثائرة، راجعاً الفضل كله والمنة كلها إلى اللّه في هذا القصر وفي كل شيء بيد الإنسان. وهذه النظرة هي نظرة المسلمين الأولين، وهي نظرة القرآن الكريم، وهي النظرة التي أرادها القرآن من أهل القرآن. ولتنظر هل تصطلح النظرتان؟!

الغربي ينظر إلى الكون قائلاً: كيف أصنع بهذا؟ والمسلم الحق ينظر إلى الكون قائلاً: سبحان خالق هذا ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾[1].

المسلم يبحث في الكون ليؤمن باللّه. والغربي يبحث في الكون لينكر اللّه. ولهذا فالمدارس العصرية الأوروبية هي مصانع إلحاد وكفر برب العالمين.

مذهب وحدة الوجود

وهنالك في كتاب هيكل مسألة خطيرة كل الخطورة. هذه المسألة هي أنه يقرر في مواضع من كتابه وحدة الوجود بعبارات مختلفة في الوضوح. فقد ذكرها ص ١٠١،

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٩١.

ص ١١٣، ص ١٢٠، ص ١٢٣، ص ١٥٨، ص ١٥٩. وقررها في مواضع أخر، وأكثر من ذكرها مما يدل على شدة اقتناعه بالمذهب وإيمانه به.

وقال في ص ٤٣: «النفوس الضعيفة أعجز من أن تسمو للاتصال بالوجود كله ولإدراك وحدته ممثلة فيما هو أسمى من كل ما في الوجود، ممثلة في اللّه ذي الجلال، وهي لذلك تقف عند مظهر من مظاهر هذا الوجود كالشمس أو القمر أو كالنار ثم تضعف عن الارتفاع بنفسها إلى تمثل هذا المظهر فيما يدل عليه هو أيضاً من وحدة الوجود.

«هذه النفوس الضعيفة تكتفي بوثن يتمثل لها فيه معنى مبهم وضيع من الوجود ووحدته فتتصل بهذا الوثن وتخلع عليه من صور العبادة ما لا تزال تراه في بلاد العالم جميعاً».

وكلمته هذه أكثر كلماته إيقاعاً في الشك. ولا أحسبني متجنياً أو مخطئاً إذا قلت إن قوله هذا ربما دلّ على أن المشركين كانوا غالطين لأنهم عبدوا بعض هذا الوجود كالشمس والقمر مقتصرين على ذلك، ولو أنهم عقلوا واتسعت مداركهم وآفاق عقولهم فعبدوا الوجود كله ممثلاً في ذات اللّه لكانوا راشدين ولكانوا غير مشركين. ولكن القوم أضعف وأعجز من أن يسموا إلى الاتصال بهذا الوجود كله لأنه ممثل في ذات الحق سبحانه: أقول لا أحسبني متجنياً ولا مخطئاً إذا قلت إن كلام الدكتور ربما أعطى ما ذكرت وربما كان رامياً إليه من قرب أو من بعد.

مذهب وحدة الوجود تكلم فيه علماء المسلمين الأوائل كلاماً كثيراً وكتبوا فيه كتباً خاصة، تكلموا فيه بين صوفية تائهين عن الحق مؤمنين بالمذهب داعين إليه، وبين آخرين ناقضين عليهم رادين على المذهب مشتدين في الرد. والمذهب يؤول إلى إنكار اللّه، يرمي إلى تعطيل العالم من الخالق. يرمي إلى القول بالطبيعة وبقدم العالم. يرمي إلى هدم ما جاءت به الكتب المقدسة من الأساس. المذهب يقول إن الوجود واحد كله فليس هنالك خالق ومخلوق، كما ليس هنالك عابد ومعبود ولا قديم وحادث. فالوجود إما أن يكون قديماً كله أو حادثاً كله. وإما أن يكون منه قديم ومنه حادث ومنه عابد ومنه معبود فليس كذلك لأن الوجود واحد ولأن وحدته تنافيه. ولقد قال هذه المقالة طوائف انتسبت إلى

الإسلام وكتبت في المسألة، وأخيراً وقعت في الجحود والإلحاد، حتى قال بعض هؤلاء وهو من أئمتهم المشهورين:

العبد حق والرب حق يا ليت شعري من المكلف؟!
إن قلت عبد فذاك رب أو قلت رب، أنى يكلف؟!

وقال آخر: إن النصارى ضلّوا لأنهم اقتصروا على عبادة ثلاثة، ولو أنهم عبدوا الوجود كله لكانوا راشدين.

ولأهل هذا المذهب العجيب أقوال ينفر منها من يقرؤها ولا يطيق سماعها فضلاً عن أن يؤمن بها.

وإذن أنا خائف على الدكتور من هذا المذهب. خائف عليه من أن يكون قد قرأ لبعض من كتب في المسألة، فراقه ما سمع وحسبه فلسفة وتعمقاً في الدراسة، ولم ينفذ إلى صميم المراد، ولم يصل غاية المذهب، لأنه لم يألف قراءته، فلا غرابة أن تسمو فوقه أغراضه وأسراره، ولا غرابة ألا يطل على آفاق هذا المذهب.

اللَّه في نظر الدكتور

قال في ص ١١٣: «فلا بدّ لهذا الكل «أي الكون» من روح يمسكه، منه نشأ وعنه تطور وإليه يعود، هذا الروح وحده هو الذي يجب أن يخضع له الإنسان، أما سائر ما في الكون فهو خاضع لهذا الروح كالإنسان سواء. والإنسان والكون والزمان والمكان وحدة، هذا الروح جوهرها ومصدرها».

هذا هو اللَّه في نظر الدكتور، وهذا هو الذي تجب له العبادة وحده، فاللَّه عنده روح هي جوهر لهذه الخلائق. ولا أدري ماذا يريد بجوهر أهو يريد أنه معنى الكون وصفته أم يريد أن الكون هو معناه وصفته أم يريد غير ذلك؟! ولا نعرف أحداً من المسلمين سمى اللَّه روحاً وجعله جوهراً للخليقة قبل مؤلفنا في كتابه الجديد الطريف. وعلى كل حال أنا أنظر إلى هذا القول بعين الحذر والريبة.

الآخرة في رأي الدكتور

قال ص ١٠١: «الآخرة التي تحيط فيها النفس بكل الوجود في كمال وحدته، والتي يتلاشى فيها المكان والزمان، وتنسى فيها اعتبارات هذه الحياة الوضيعة الأولى والآخرة التي يصير فيها الضحى ولألاء شمسه الباهر، والليل ودجاه الساجي، والسموات والكواكب والأرض والجبال كلاً واحداً تتصل به الروح الراضية المرضية. هذه هي الحياة التي يجب أن تكون إليها الغاية من سفر هذه الحياة».

هذه هي الآخرة عند مؤلفنا. وآخرته هذه مخالفة لآخرة جميع المسلمين. ولا نعلم من أين علم بأن النفس تحيط بكل الوجود في كمال وحدته هنالك، وأن المكان والزمان يتلاشيان وتنسى كل الاعتبارات، كما لا ندري من أين علم أن الضحى والشمس والليل والظلام والسموات والكواكب وكل شيء يكون كلّاً واحداً تتصل به الروح الراضية!!

والذي يعرفه المسلمون أن الليل والنهار والشمس والقمر وهذه الخلائق التي عدّدها الدكتور تتطاير يوم القيامة وتتبعثر.

ثم هل يسمح الدكتور بأن يدلّنا على معنى اتصال الروح الراضية المرضية بهذه الخلائق كلها في الآخرة؟!

هل يرى أن الروح قديمة؟

قال ص ١٢٠: «والروح!!! الروح الذي هو من أمر اللّه، الروح المتصل بأزل الزمن وأبده، هذا الروح ما عمل صالحاً، فلا حجاب بينه وبين وجه اللّه ولا سلطان لغير الله عليه».

هذه هي الروح في قول دكتورنا فهي متصلة بأزل الزمن وأبده. إذن هي قديمة عنده، وإذن هي لا بداية لها لأنها متصلة بأزل الزمن وأبده. ولعله لا يدين مذهب التناسخ؟! مذهب التناسخ الذي ينكره جميع المسلمين. وكلنا والحمد للّه أرواحنا من أمر اللّه، ولكنها ليست متصلة بأزل الزمان وأبده. ولا أحسب أحداً من الموجودين اليوم يعتقد أن روحه متصلة بأزل الزمن وأبده. والمسلمون يعلمون كافة أن هنالك حجاباً بين

أرواحهم، وإن كانت صالحة بارة، وبين اللّه. فلا تستطيع روح، مهما كانت سامية أن تتصل باللّه الاتصال الحقيقي، وأن يزال الحجاب بينها وبين اللّه. وقد صحّ في الحديث أن رسول اللّه ﷺ قال محدثاً عن اللّه: «حجابه النور» وقالوا له عليه السلام: هل رأيت اللّه؟ فقال: «نور أنّى أراه» وفي القرآن الكريم أن نبي اللّه موسى طلب منه تعالى الرؤية فلم يعط ما طلب.

الإيمان في نظر الدكتور

وفي ص ٤٩٢ يفسّر الإيمان تفسيراً يحمل على الشك والريب، تفسيراً يخالف في ظاهره معنى الإيمان عند الإسلام والمسلمين. ولتسمع عبارته:

«والإيمان شعور روحي يحس به الإنسان يملأ نفسه كلما اتصل بالكون وفني في لا نهاية المكان والزمن وامتثل الكائنات كلها في نفسه».

ولننظر ما هذا الإيمان؟! وما معنى هذا الفناء في لا نهاية المكان والزمان؟! وما معنى امتثال الكائنات كلها في النفس؟! هذه كلها في رأيي وفي رأي كل من يقرؤها ألغاز.

والإيمان الذي يثيب عليه اللّه الجنة والزحزحة عن النار هو الإيمان باللّه وملائكته وكتبه ورسله وباليوم الآخر وهو الإتيان بالأعمال الصالحة من صلاة وصيام وحج إلى غير ذلك.

ولقد رأيت في هلال يونيه/حزيران سنة ١٩٣٥ مقالاً للدكتور عنوانه:

«العمل عبادة» ذكر في ذلك المقال أن كل عمل يؤديه الإنسان في غير ما ظلم هو عبادة للّه خالصة حتى الحفر في الأرض والزراعة وجمع الأموال والتباهي بالقصور وزينة الدنيا. وهذا من عجائب الدكتور.

الصلاة والصيام في رأيه

وفي ص ٤٩٣ يفسّر الصلاة والصيام تفسيراً نحن منه في شك، تفسيراً نخشى أن يكون له خبىء. قال في الصفحة المذكورة: «ولا سبيل إلى معرفة هذه السنة إلّا بإدامة

http://www.al-maktabeh.com

الاتصال بالكون والنظر فيه والتماس العون من اللّه للاهتداء إلى أسراره. إليه تعالى يتجه الإنسان بقلبه وروحه. إياه يعبد وإياه يستعين. وهذه هي الصلاة وهذا هو الاتصال باللّه شكراً على نعمته. فإذا أثقل جسمنا روحنا وطغت ماديتنا على إنسانيتنا فقد وجب أن نكف جهد الطاقة عما يجعل الجسم يثقل الروح ويجعل المادة تطغى على الإنسانية وذلك هو الصوم».

والصلاة في الإسلام هي هيئة مخصوصة ذات ركوع وسجود وقيام وقعود، وذات قراءة وأدعية وتسبيح وأشياء أخر. والصوم هو الإمساك عن الطعام والشراب وشهوة النفس وعن المحرمات شهراً كاملاً من طلوع الفجر إلى غروب الشمس. فهل يخفى هذا على مؤلفنا، وهل عبارته هذه تؤدي هذا المعنى.

غلطة

وفي ص ٤٧١ يفسّر علم محمدﷺ للغيب تفسيراً لا نرضاه ولا يرضاه من عرف ما الوحي ومن عرف ما النبوة. ويجتهد أن يجعل علمه للغيب كعلم سائر الناس أولي الرياضة، وقد يجعل ذلك من مناجاة الأرواح ومن اتصال أرواح الأحياء بالأموات. وهذا يؤدي إلى إنكار الوحي إلى الأنبياء.

تحريف

وفي ص ١٧٩ يعبث بقصة سراقة بن مالك ولحاقه رسول اللّه وأبا بكر في سفر الهجرة عبثاً أي عبث ويحرّفها تحريفاً أي تحريف، يتنكب ما رواه علماء الإسلام ومحدثوهم ومؤرخوهم مائلاً إلى ما كتبه المستشرقون قال:

«وبدأ محمد وأبو بكر يفكران في امتطاء جمالهم إذ كانوا من سراقة قيد البصر وكان جواد سراقة قد كبا به قبل ذلك مرتين لشدة ما جهده فلما رأى الفارس أنه وشيك النجاح وأنه مدرك الرجلين فرادهما إلى مكة أو قاتلهما إن حاولا عن نفسيهما دفاعاً نسي كبوة جواده ولزه ليمسك بيده ساعة الظفر ولكن الجواد في قومته كبا كبوة عنيفة ألقى بها الفارس من فوق ظهره، وتطيّر سارقة وألقي في روعه أن الآلهة مانعة منه ضالته وأنه معرّض نفسه لخطر داهم إذا هو همّ مرة رابعة لإنفاذ محاولته. هنالك وقف

ونادى القوم أنا سراقة بن جعشم انظروني أكلمكم فواللّه لا أريبكم فلما وقفا ينظرانه طلب إلى محمد أن يكتب له كتاباً يكون آية بينه وبينه»...إلخ.

والذي ثبت في قصة سراقة بن مالك. وأعرض عنه الدكتور، هو أنه لما اقترب منهما دعا عليه رسول اللّه فساخت قوائم فرسه، فطلب من الرسول عليه السلام ومن صاحبه أن يدعوا له ولا يمسّهما بسوء، فدعا له رسول اللّه، فنهض جواده، فرجع كافاً الطلب عنهما. والسبب في إعراض الدكتور عن هذا أنه يأبى الإيمان بالخوارق والمعجزات.

الكتاب من الوجهة الفنية

لا أخفي على القراء أن كتاب حياة محمد لم يثر شيئاً من إعجابي من الوجهة الفنية التأليفية، بل أستطيع أن أقول بعد قراءته إنه من هذه الوجهة قد يكون فجاً غير ناضج، وقد يكون ضعيفاً في حاجة شديدة إلى القوة والإجادة.

للكتابة في الدين فن خاص به، وللكتابة في الأدب فن خاص به أيضاً، وللكتابة في السياسة والقانون فن خاص بهما، ولكل علم فن خاص به. ومن أحسن الكتابة في بعض هذه العلوم لم يلزم أن يحسن الكتابة فيها كلها. فمن أجاد الكتابة في القانون والسياسة والأدب والقصص لم يلزم أن يحسن الكتابة في الدين. ولو حاول عالم من علماء الدين الكبار أن يكتب في القانون لما استطاع الكتابة، ولو كتب لما أحسن، بل ولجعل نفسه عرضة للوم والزراية.

إذن للدكتور هيكل العذر الواضح المقبول إذا ما كتب في الدين وقصّر تقصيراً كبيراً، بل وله الشكر والثناء على ذلك الذي قصّر فيه.

ولأدلّك على قصور الكتاب من هذه الوجهة، بل على ضعفه بأول صفحة في الكتاب وكفى بذلك دليلاً مقنعاً.

ذكر في الصفحة الأولى أن الأذان دعاء إلى الصلاة للّه وإلى الصلاة على رسول اللّه. والواقع أن الأذان دعاء إلى الصلاة للّه فقط كما يقول المؤذن حي على الصلاة.

وقال: «وإذا كانت الظهيرة وزالت الشمس أهاب المؤذن بالناس لصلاة الظهر ثم لصلوات العصر فالمغرب فالعشاء».

والصواب ثم لصلاة العصر فصلاة المغرب فصلاة العشاء، أو لصلاة العصر فالمغرب فالعشاء، أو ثم لصلوات العصر والمغرب والعشاء.

وقال: «وكذلك سيكونون «أي سيذكرون محمداً» حتى يظهر اللّه الدين القيّم ويتمّ نعمته على الناس أجمعين».

وقال في السطر التالي: «ولم يك محمد بحاجة إلى زمان طويل ليظهر دينه ولينتشر في الخافقين»..إلخ.

ففي السطر الأول ذكر أن الدين لم يظهر بعد ولم يتم اللّه نعمته على الناس بهذا الدين، وفي السطر الثاني ذكر أن ذلك قد كان.

وقال: «وفي كل واحدة من هذه الصلوات يذكر المسلمون محمداً في ضراعة وخشية وإنابة».

والذي يذكره المسلمون في خشية وإنابة وضراعة هو رب محمد ورب كل شيء لا محمد.

ذكر هذه الأمور كلها في الصفحة الأولى من الكتاب. وهذا نموذج وضعناه تحت بصر القارىء يستطيع به أن يعرف مقدار نضوج الدكتور هيكل ونضوج كتابه في الكتابة الدينية أو التحليلية الفلسفية كما يريد.

وفي الكتاب خلاف كثير، أي ما يسميه الناس تناقضاً. وقد وقع في المقدمة من ذلك شيء كثير. ذكر فيها أن الإخاء قد ظلّ قائماً بين المسلمين والنصارى طول حياة رسول اللّه. وذكر في موضع آخر منها أن الإسلام وقف في وجه النصرانية وقفة المناضل المستميت. كما ذكر في موضع آخر أن النصرانية قد جرّدت جيشاً عرمرماً للقضاء على الإسلام، ولدفع عدوان هذا الجيش كانت غزوة «تبوك» المشهورة وكما ذكر أن اللّه

أنزل قوارع الآيات في ذمّ النصارى وذم أهل التثليث. وذكر في المقدمة أيضاً أن السبب في عداوة النصارى للإسلام هو جهلهم بالإسلام، وذكر في موضع آخر منها أن السبب في ذلك هو أن بين الدينين: الإسلام والنصرانية خلافاً جوهرياً، خلافاً في صلب العقيدة.

وذكر فيها أيضاً أن الإسلام لم يكن يشتد في الردّ على النصارى، ثم نقل في مقدمته، بعد هذا القول، أشد قوارع الآيات في الرّد عليهم وفي تفنيد عقيدتهم. والأمثال من هذا النوع، في الكتاب عامة وفي المقدمة خاصة، كثيرة. أفلا يدلّك بعض هذا على أن الكتاب في حاجة ماسة إلى النضوج والإجادة؟!

لغة الكتاب

لا مشاحة بين القرّاء أن في الكتاب ظرفاً، وفيه رقة وبداعة، وفيه خيالاً عصرياً فرنسياً لذيذاً، وفيه حلاوة، وعليه طلاوة. لا مشاحة بين القراء في وجود هذه الأمور. ولكن الكتاب فيه، بعد ذلك، أغلاط نحوية وأغلاط صرفية كثيرة، وفيه تفكيك وقلة ارتباط بين جمله، وفيه عبارات قد تعمى عن البيان وقد يعمى عنها البيان وقد يكون عسيراً جداً فهمها. وهذه أمور لا خلاف بين قراء الكتاب فيها. وقد كتب أحد الكتاب في مجلة الرسالة مقالاً خاصاً بأغلاط الكتاب اللغوية، وذكر من ذلك شيئاً كثيراً.

ونحن لا نرى بنا حاجة إلى إثبات هذه الأغلاط، ولا إلى إثبات شيء منها. ولكن الذي نرى إثباته هنا هو أن نسدي النصيحة للدكتور ونطلب إليه أن يراعي القواعد العربية من نحوية وصرفية. وهذا أمر يسير على مثل الدكتور. ولقد يكون من الظلم لذلك الأسلوب الرقيق الذي وهبه اللّه «هيكلاً» أن يكون مشوّهاً باللحن والغلط، ممسوخ الجمال بما فيه من أغلاط عربية ظاهرة. وأتذكر أن الدكتور قد أخرج كتاباً سماه «ثورة الأدب» فكان فيه أغلاط عربية فانتقده الكتّاب، وأتذكر أن من ناقديه الدكتور طه حسين. وقد كان هذا كافياً لمؤلفنا أن بجانب هذا العيب المفروض على كتاباته. ولكن يظهر أنه لا يبالي هذه الناحية ولا يرى لها خطراً يستحق العناية والاهتمام. والأمر خلاف ما قدر وما ظن.

http://www.al-maktabeh.com

خاتمة

هذا بعض ما يؤخذ على كتاب هيكل من الجهة الإيجابية. وليلاحظ أننا لم نتقص الكتاب جيداً، وليلاحظ أيضاً أننا لم نؤاخذه إلّا بما نراه خطيراً عظيماً. ولنا عليه مآخذ أخر من الوجهة السلبية. ذاك أن في الكتاب قصوراً واضحاً. فالكتاب في حياة محمد كما سماه. إذن يجب أن يحيط بالأشرف الأكبر من هذه الحياة، ويجب أن يحيط بالناحية العظمى منها. ونواحي الحياة عديدة. ولكن لنا أن نسائل هل وفّى ذلك؟ هل كتب عن أشرف نواحي حياة محمد وعن أكثرها؟ لعلنا لو أجبنا بالإيجاب لكنا محابين للدكتور. فلقد أهمل أعظم النواحي من هذه الحياة السامية، السامية حقاً، حياة النبوة وكفى. وقصر كتابه على نواحٍ قد لا تماثل ما أهمله خطراً وخطورة. بل إننا نرى من الظلم لحياة محمدﷺ أن نقول: إن هذا الكتاب يستحق هذا الاسم «حياة محمد» وبعبارة أخرى نقول: إنه كتب عنه كسياسي محارب ولم يكتب عنه كرسول عابد، أو نقول: إنه كتب عنه كقائد ولم يكتب عنه كإمام أي إنه أهمل ناحية العبادة والتعلّق بالسماء، ذلك الأمر الذي هو أبرز صفاتهﷺ في كل أدواره ومواقفه. ولا نشك أن من يقرأ هذا الكتاب يخرج منه على أن حياة محمد ما هي إلّا حياة حربية محضة، حياة كلها الغلبة وكلها الدماء وكلها البطش والجبروت. ولعلك لا ترضى منا هذا القول حتى نضع يدك على حجته، فأقول: انظر إلى ما كتب عنهﷺ: في جميع غزواته تجده قد كتب عن انتصاراته الباهرة وعن إذلاله لأعدائه، وعن إحكام سياسته. وتجده قد أهمل تألهه وعبادته وتعلّقه باللّه. وقد كانﷺ لا يترك الصلاة في حرب ولا سلم ولا في حضر ولا في سفر. وقد صلى بأصحابه صلاة الخوف وصلاة الجهاد عدة مرات بأنواع من الهيئات على حسب حال العدو وعلى حسب ما تسمح به حالة القتال. وكتّاب

السيرة كلهم يذكرون ذلك ويكثرون من ذكره. ولكن دكتورنا لم يذكر منه شيئاً مطلقاً وكذلك أهمل صيامه وسائر عباداته في أسفاره وجهاده. وهنالك شيء آخر يدلّك على قصور في الكتاب، أو على عيب في الكتاب. ذلك أنه يذكر ما يأتي به رسول اللّه من مهارة في الحرب ومن سياسة حكيمة راشدة ويعزوها إليه على أنه هدي إليه بعقله، وعلى أنه أدركها بتفكيره، ولا يعزوها بل ولا يعزو منها شيئاً إلى وحي اللّه وإلى نبأ جبريل.

وهو أيضاً يعزو انتصارات المسلمين على خصومهم إلى شجاعتهم وإلى قوتهم وإلى تفانيهم في حب الفناء. ولا يعزو شيئاً من ذلك إلى لطف اللّه ونصرته. أي إنه يجعل انتصاراتهم على المخالفين هي انتصارات عادية طبعية. ولا ريب أن هذا خلاف القرآن، وخلاف قول المسلمين كافة.

وشيء آخر في الكتاب. وذلك أنه يعتمد على الضعيف من الروايات كثيراً. مثل ذلك أنه ذكر ص ٩٥ أن أول الوحي كان مناماً، وهذا القول فيه رواية ضعيفة، والروايات الصحيحة المعتد بها خلاف ذلك، ورأى المسلمين اليوم خلافه أيضاً.

وشيء آخر في قصور الكتاب، وهو أنه لم ينقل فيه شيئاً من أحاديث رسول اللّه ﷺ ومن حكمه المعجزة الباهرة. وحياة رسول اللّه كانت ملأى بأحاديثه، ملأى بأقواله التي دوّنها رجال الحديث والتي يتغنى بها المسلمون في الشرق والغرب. وعندي أن منشأ قصور الكتاب وعيبه جاءه من جهة اعتماده على المستشرقين الذين كتبوا حياة رسول اللّه ﷺ. والمستشرقون لم يحيطوا بحياته إحاطة تمكّنهم من أن يكتبوا فيها كتابة تقارب الصواب. ولو أنه اعتمد على علماء المسلمين لسلم من بعض ذلك.

وقبل إلقاء القلم لا أنسى أن أقيّد هنا ما يأتي:

أولاً ـ شكر جريدة الكوكب على نشر هذه الحقائق العلمية.

ثانياً ـ أنا حسن الظن بالدكتور. أرى أن ما وقع فيه من أغلاط لم يكن صادراً إلّا عن حسن نية وأي إنسان مبرّأ من الغلط، ولكن من الناس المقارب ومنهم المباعد. ولهذا اعتقد أنه سوف يسره ما يواجه به من نقد بريء وسوف يستفيد منه.

ثالثاً ـ أرى هذا الكتاب، مع ما ذكرنا، مفيداً لأناس كثيرين، مفيداً لقوم يحسبون الإلحاد هو كل شيء في هذا العصر، مفيداً لقوم يحسبون التديّن والإيمان مقصورين على العامة والجهلاء، وما حسبوا أن رجالاً مثقفين عصريين «كهيكل» يحرصون على الدين وعلى الإيمان. وكم يسرّنا أن يقتدي كتّابنا الأعلام، أمثال الدكتور طه حسين والأستاذ العقاد والأستاذ المازني، بهيكل ولو أنهم فعلوا ذلك لآمن الناس جميعاً أو لازداد الإقبال على الدين.

رابعاً ـ لا ندري لماذا لم نسمع من علماء الأزهر، أولئك الذين يغضبون للوسيلة وللطواف بالأضرحة، والذين يغضبون على الوهابيين ويكيلون لهم من السبّ والإيذاء ما هم به عالمون، صوت نقد وإنكار على هذا الكتاب، وفيه ولا شك مما لا يرضاه هؤلاء الشيء الكثير. ألا يكون هذا دليلاً على اشتغال القوم بالدنيا عن كل شيء حتى عن العقيدة وحتى عن إنكار ما ينكرون؟

أسأل الله أن يصلح حال المسلمين، وأن يبعدهم عن مواضع الفتن والفتون، وأن يجعلهم من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه.

عبد الله علي النجدي القصيمي

عبد الله القصيمي

ولد عبد اللّه القصيمي سنة ١٩٠٧ تقريباً في قرية تدعى «خب الحلوة» إلى الغرب من مدينة بريدة النجدية السعودية. وكان والده الشيخ على الصعيدي ـ المولود في إمارة حائل بشمال نجد ـ والمعروف بتشدّده الديني الصارم قد سافر إلى الشارقة بعد طلاقه تاركاً ولده عبد اللّه بعهدة والدته وهو لم يتجاوز الرابعة من عمره.

وبعد زواج الأم وانتقالها إلى مدينة أخرى عاش عبد اللّه مع جده لأمه: «كل ما أعيه من الأيام الأولى لهذه الطفولة أني وجدت مع جدي لأمي.. الذي كان القحط الإنساني والقحط الطبيعي وكوارث أخرى قد امتصت منه كل شيء..». وقد اضطر عبد اللّه إلى العمل ـ بلا أجر ـ في سن الخامسة:

«كان من العدوان على البشر ومن التحقير لهم أن يسمى القوم الذين كنت أعمل لهم وعندهم بلا أجر ـ أن يسموا بشراً مع أن كل حديثهم كان عن الجنة والنار والدين والإيمان والتقوى، وعن الخوف من اللّه العادل المنتقم الرحمن الرحيم الرؤوف الجبار».

وفي سن العاشرة ضاقت الظروف المعيشية بالأسرة فانتقل عبد اللّه إلى الرياض حيث درس على الشيخ سعد بن عتيق ومنها إلى الشارقة ليتعرف على أبيه: «ولقد وجدته متديناً متعصباً بلا حدود. لقد حوّل الدين والتديّن إلى فظاظة.... أو حاول أن يبدو كذلك لأن المجتمع يريد من الداعي إلى اللّه والفضيلة أن يكون فظاً عابساً، ولا يراه رجل دين وداعية صادقاً إلّا بقدر ما وجد فيه من العبوس والفظاظة..». وتابع تعليمه بمدرسة الشيخ علي المحمود حتى توفي والده عام 1922، فالتحق بالتاجر عبد العزيز الراشد الذي أخذه معه إلى الزبير بالعراق والهند وسوريا ثم القاهرة حيث التحق بالجامع الأزهر عام 1927 الذي كان يواجه حملة واسعة من عدد من المفكرين المصريين وعلى رأسهم الشيخ رشيد رضا ومجلته «المنار». وشارك القصيمي في هذه الحملة عندما ردّ بعنف على مقالات نشرها الشيخ يوسف الدجوي عام 1931 في مجلة «نور الإسلام» وفيها هجوم عنيف على الآراء الوهابية مثل مقالته «التوسّل وجهالة الوهابيين» فأصدر القصيمي كتابه الأول وهو «البروق النجدية في اكتساح الظلمات الدجوية» وفيه نقض شامل

لحجج الشيخ الدجوي مما استدعى علماء الأزهر إلى فصل القصيمي من الأزهر فأصدر على أثر ذلك كتابين يهاجم فيهما الأزهر بعنف واضح هما «شيوخ الأزهر والزيادة في الإسلام» وكتاب «الفصل الحاسم بين الوهابيين ومخالفيهم» مما أكسبه شعبية واسعة في أوساط حركة التجدد الإسلامي.

وفي عام 1936، جدّد القصيمي التزامه بالدفاع عن الدعوة الوهابية في كتابه «الثورة الوهابية»، ثم تابع حملته بالرّد على كتاب أصدره في سوريا العلامة السيد محسن الأمين بعنوان «كشف الارتياب في اتباع محمد ابن عبد الوهاب»، وذلك في مجلدين من ١٦٠٠ صفحة بعنوان «الصراع بين الوثنية والإسلام».

وفي عام 1946 كانت تجربة عبد اللّه القصيمي قد نضجت وانتقل إلى مرحلة التحرّر والشك في الموروثات فأصدر كتابه الشهير «هذه هي الأغلال» وأهداه إلى الملك عبد العزيز وفي الكتاب حملة واسعة على الاتجاهات السلفية مما لقي ترحيباً ورواجاً كبيراً في أوساط المثقفين وردود ساخطة من السلفيين كان أبرزها كتاب العلامة الشيخ عبد الرحمن بن سعدي «تنزيه الدين ورجاله مما افتراه القصيمي في إعلانه» وكتاب «الرد القويم على ملحد القصيم» الذي كتبه صديقه السابق عبد اللّه بن ياسين. وقد كسب القصيمي دعوة قضائية في محاكم مصر ضد من اتهموه بالكفر. وكان من الأسباب الرئيسية في كسبه القضية هو دفاع عدد من كبار المفكرين الإسلاميين عن كتاب «هذه هي الأغلال» ومن أبرزهم الكاتب الكبير عباس العقاد.

سنة 1950 انتقل من القاهرة إلى مدينة حلوان حيث التقى هناك بعدد من الطلبة اليمنيين كان منهم اللواء عبد اللّه جزيلان مفجر ثورة اليمن عام 1962 وغيره من الشّخصيات الذين أصبحوا فيما بعد من القيادات البارزة في اليمن مما دفع الإمام أحمد إلى الضغط على صلاح سالم بطرد القصيمي من مصر بسبب تأثيره على الطلبة اليمنيين فاعتقلته السلطات المصرية ثم تقرر نفيه إلى لبنان حيث التقى عدداً من المفكرين والناشرين.

وقد عاد القصيمي إلى القاهرة في عام 1956 ليواصل الكتابة في الصحف والمجلات اللبنانية. وفي عام 1963 نشر في بيروت أول كتبه في المرحلة الثالثة من فكره، والكتاب وهو «العالم ليس عقلاً» الذي أثار ضجة كبيرة في لبنان البلد العربي الوحيد الذي سمح فيه ببيعه. وأعقبه بأحد عشر كتاباً بلغت حداً من الجرأة والانفتاح الفكري لم يعهد الفكر العربي مثله مما زاد النقمة عليه. ونما إلى علم السلطات اللبنانية بوجود خطة لاغتياله فطلب منه مغادرة لبنان، فأقام بالقاهرة حتى وفاته سنة 1997.

http://www.al-maktabeh.com

وكان القصيمي «مريضاً بالتحديق بالأشياء وقراءتها...».

وتميزت كتاباته بشفافية إنسانية فريدة:

«دعوني أبكي، فما أكثر الضاحكين في مواقف البكاء...».

«دعوني أنقد، فما أكثر المعجبين بكل التفاهات...».

«أنا احتجاج، أنا رفض دائم...

أنا لست مذهباً، لست معلماً، لست صانع قيود، لست حامل قيود...

أنا أرفض الطغيان والقيود... أنا أنقدها... أنا أعدد ذنوبها...

لهذا أرفض التعاليم والمذاهب، لهذا أنقدها، أعدد ذنوبها، عيوبها... لهذا أنا لست مذهباً».

«لماذا يموت الصباح... وتنتحر الشموع... وتكتئب الزهور؟

إن كل ما في الكون من شموس وأقمار، وأزهار ومحيطات، لا يساوي دمعة واحدة تنحدر من قلب يعصره الحزن....».

وقد قال عنه أدونيس: «إن عبد اللّه القصيمي، في الفكر العربي، حدث ومجيء».

ببلوغرافيا لمؤلفات
وأهم مقالات عبد الله القصيمي

1 ـ **البروق النجدية في اكتساح الظلمات الدجوية**، القاهرة، مطبعة المنار، 1931، عدد الصفحات: 203 صفحات، طبعة ثانية، مؤسسة الانتشار العربي.

2 ـ **شيوخ الأزهر والزيادة في الإسلام**، القاهرة، مطبعة المنار، 1931، عدد الصفحات: 76 صفحة، طبعة ثانية، مؤسسة الانتشار العربي

3 ـ **الفصل الحاسم بين الوهابيين ومخالفيهم**، القاهرة، مطبعة التضامن الأخوي، 1934، عدد الصفحات: 184 صفحة، طبعة ثانية، مؤسسة الانتشار العربي.

4 ـ **مشكلات الأحاديث النبوية وبيانها**، القاهرة، المطبعة الرحمانية، 1934، عدد الصفحات: 210 صفحات. طبعة ثانية، مؤسسة الانتشار العربي 2006.

5 ـ **نقد كتاب حياة محمد** لمحمد حسين هيكل، القاهرة، 1935، عدد الصفحات: 70 صفحة، طبعة ثانية، مؤسسة الانتشار العربي.

6 ـ **الثورة الوهابية**، القاهرة، مطبعة مصر، 1936، عدد الصفحات: 196 صفحة طبعة ثانية، مؤسسة الانتشار العربي.

7 ـ **الصراع بين الإسلام والوثنية**، مجلدان (المجلد الأول، المطبعة السلفية، عدد الصفحات: 715 صفحة، المجلد الثاني مطبعة السعادة، عدد الصفحات: 895 صفحة) 1937-1939. طبعة ثانية، مؤسسة الانتشار العربي.

8 ـ **كيف ذل المسلمون**، القاهرة، مطبعة أنصار السنة المحمدية، 1940، عدد الصفحات: 143 صفحة. طبعة ثانية، مؤسسة الانتشار العربي.

9 ـ **هذي هي الأغلال**، القاهرة، مطبعة مصر، 1946، عدد الصفحات: 329 صفحة.

10 ـ **العالم ليس عقلاً**، (المجلد الأول، بيروت، دار الغد، 1963، عدد الصفحات: 570

صفحة، المجلد الثاني 3 أجزاء بأسماء: **عاشق لعار التاريخ**، وعدد صفحاته: 262 طبعة ثانية، مؤسسة الانتشار العربي 2005. **صحراء بلا أبعاد**، وعدد صفحاته: 423 طبعة ثانية، مؤسسة الانتشار العربي 2003. **أيها العقل من رآك**، وعدد صفحاته: 477، دار الغد، 1967). طبعة ثانية، مؤسسة الانتشار العربي 2002.

11 ـ **كبرياء التاريخ في مأزق**، بيروت، مطبعة الأخوان معتوق، 1966، عدد الصفحات: 560 صفحة. طبعة ثانية، مؤسسة الانتشار العربي 2001.

12 ـ **هذا الكون ما ضميره**، بيروت مطبعة الأخوان معتوق، 1966، عدد الصفحات: 560 صفحة طبعة ثانية، مؤسسة الانتشار العربي 2001.

13 ـ **أيها العار إن المجد لك**، بيروت، 1971، عدد الصفحات: 600 صفحة، طبعة ثانية، مؤسسة الانتشار العربي 2001.

14 ـ **فرعون يكتب سفر الخروج**، بيروت، 1971، عدد الصفحات: 663 صفحة طبعة ثانية 2001. مؤسسة الانتشار العربي

15 ـ **الإنسان يعصي.. لهذا يصنع الحضارات**، بيروت، 1972، عدد الصفحات: 431 صفحة، طبعة ثانية مؤسسة الانتشار العربي.

16 ـ **العرب ظاهرة صوتية**، باريس، مطبعة منتمارير، 1977، عدد الصفحات: 799 صفحة.

17 ـ **الكون يحاكم الإله**، باريس، 1981، عدد الصفحات: 719 صفحة.

18 ـ **يا كل العالم لماذا أتيت؟** باريس، مطبعة تيب، 1986، عدد الصفحات: 600 صفحة، طبعة ثانية مؤسسة الانتشار العربي.

أما المقالات التي نشرها المفكر القصيمي، سواء في الصحف المصرية أو اللبنانية والتي أشغلت الساحة ردحاً من الزمن، فإن أهمها ما يلي:

- **إلى نفاة وجود الله**، من كتاب مجلة الإسلام، مجلة أنصار السنة، السنة الثالثة، العدد 27, 1939، ص 26.
- **الانتحار بعد الانتظار**، مجلة أنصار السنة، السنة الثالثة، العدد 28, 1939، ص 26 وما بعدها.
- **اقباسات من إنجيل لم تعرفه المجامع**، مجلة الآداب البيروتية، السنة الثالثة، العدد 7, 1955، ص 9 وما بعدها.

- **لا تشتموا الأعداء**، مجلة الحرية، بيروت، العدد الأول، يناير/كانون الأول، 1956، ص 19.
- **الصدق خيانة وهزيمة، الحرية**، بيروت، العدد الثالث، فبراير/شباط، 1956، ص 19.
- **الكاتب لا يغير المجتمع**، مجلة الآداب البيروتية، السنة الخامسة، العدد 10، أكتوبر/ تشرين الأول، 1957، ص 18 وما بعدها.
- **مصارعة الثيران في السياسة الدولية**، الآداب، بيروت، السنة السابعة، العدد 12، ديسمبر/كانون الأول، 1959، ص 1.
- **هل يموت الكون؟** مجلة العلوم، بيروت، السنة 11، العدد 6، يونيو/حزيران، 1966، ص 75 وما بعدها.
- **لبنان أيها الكائن الجميل**، ملحق صحيفة النهار، بيروت، في 1967/7/23، ص 5.
- **حين يجن السادة ويدفع الأتباع تكاليف الجنون**، ملحق النهار، بيروت، 1967/7/23، ص 5.
- **أيها النفط كم أنت مفسد**، ملحق النهار، بيروت في 1968/3/24، ص 15.
- **إلى لبنان الذي أتمنى له مزيداً من الحضارة ونقصاناً في العروبة**، ملحق النهار، بيروت، في 1969/10/19، ص 5.
- **عربي يريد أن يتعلم الصدق**، ملحق النهار، بيروت 1971/6/20، ص 3.
- **إسرائيل لست موجودة**، ملحق النهار، بيروت، 1971/6/20، ص 3.
- **أمية العيون العربية هي هي أبدية؟** ملحق النهار، في 1971/8/15، ص 5.
- **شعبي شجاع جداً**، ملحق النهار، في 1971/10/10، ص 3.
- **أنا القصيمي سأحرق كتبي**، ملحق النهار، 1973/1/7، ص 11.

http://www.al-maktabeh.com